نقد شبهات كتاب الإنسان بين آدم والمسيح

لمؤلفه المستشار محمد حسن سالم .

دكتور

فؤاد وهبة عبد الرحيم عزام

مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

ملخص البحث:

يتناول الباحث دراسة كتاب (الإنسان بين آدم والمسيح {الإنسان بين الشك واليقين}) للكاتب: محمد حسن سالم، الذي أثار فيه أفكارا شاذة حول رسالة المسيح - عليه السلام- وكذلك الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد - ﷺ- وحول بعض آيات القرآن الكريم، وهذه الأفكار يتوجَّب عرضها وتحليلها ونقدها إحقاقا للحق، وقياما بواجب الدعوة إلى الله تعالى؛ خاصة وأن الكتاب موضوع البحث قد طبع ونشر وتم تداوله بين القراء.

ومن القضايا التي تطرق لها البحث فهم المؤلف لطبيعة المسيح- عليه السلام- والآثار المترتبة على ذلك، والشبهات التي أثارها المؤلف حول طبيعة القرآن الكريم والمحكم والمتشابه وغير ذلك من الأفكار الشاذة التي تناولها الكتاب.

الكلمات الدالة:

نقد- شبهات-الإنسان-آدم-المسيح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الإيمان برسل الله -ﷺ- ركنٌ من أركان الإيمان، ولا يجوز لمسلم أن يفرق بين رسل الله – عليهم صلوات الله وسلامه – قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

وما أرسل الله تعالى رسله إلا ليبلّغوا للناس دعوة ربّهم بلاغا مبينا، قال الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (٢).

وقد جاهد الرسلُ – عليهم صلوات الله وسلامه – في سبيل هذا البلاغ جهادا عظيما وتحمَّلوا أذى كثيرا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

وقد أرسل الله عبده ورسوله عيسى-عليه السلام- إلى بني إسرائيل ، وأنزل عليه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة، وقد جاهد في سبيل بلاغ الدعوة لبني إسرائيل ولقى منهم أذى كثيرا حتى حاولوا أن يقتلوه ولكن الله تعالى نجاه منهم، قال تعالى :﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾(٤) .

كان هذا جانبا مما يؤمن المسلم عن نبي الله عيسى -عليه السلام- من آيات القرآن الكريم، وليس في هذا الجانب أي اختلاف المسار الدعوي لكل المرسلين، ولكن ظهر من الكتَّاب من أبدى آراء مستغربة في نبيّ الله عيسى بن مريم – عليهما السلام- وفي رسالته، ولو كان هذا الكاتب نصرانيا لما أثار الاستغراب

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٥.

(٢) سورة النحل الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٤.

(٤) سورة النساء الآيات : ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨.

ولكنه كاتب يحمل اسما إسلاميا ويقرُّ بالإيمان بالنبي الخاتم محمد -ﷺ- وبالقرآن الكريم وهذا ما يزيد من خطورة كتابه على القارئ وخطورة الأفكار التي أوردها فيه.

هذا الكاتب كما لقب نفسه وأسماها نفسه هو: المستشار: محمد حسن سالم، وقد جعل عنوان كتابه: (الإنسان بين آدم والمسيح { الإنسان بين الشك واليقين }) .

وليست هذه المقدمةُ الوجيزة موضع تفصيل عن الكاتب وكتابه، فلذلك موضعه من البحث، ولا هي موضع يُستبق فيه الحكم على الكتاب، وما يمكن قوله في هذا الموضع أن هذا الكتاب تضمن أفكارا حول رسالة المسيح -عليه السلام- وكذلك الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد -ﷺ- وحول بعض آيات القرآن الكريم، وهذه الأفكار يتوجَّب عرضها وتحليلها ونقدها إحقاقا للحق، وقياما بواجب الدعوة إلى الله عز وجل.

وهذا ما أستعين بالله - عز وجل -على عمله في هذا البحث راجيا منه التوفيق والتأييد والقبول .

تمهيد

أولا : تحرير مفردات العنوان .

١- نقد : تعني كلمة النقد في لغة العرب " إبراز شيء وبروزه" [١] فمثلا عندما يقال " نَقَد الدرهم فإن ذلك يعني " أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك" [٢]، كما تعني هذه الكلمة طول النظر والتأمل في الشيء.. تقول العرب : ما زال فلان ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظر إليه" [٣] .

هذا والنقد نوعان: "أولهما: خارجي ويعني فحص الوثائق التاريخية لتحديد مدى أصالتها وصحتها، والثاني: نقد داخلي ويعني تحليل النصوص والوثائق نفسها ومقابلة بعضها ببعض"[٤]وقد استعملت الكلمة في ميدان العلوم والفنون فيقال " الناقد الفني، وهو كاتبٌ عملُه تمييز العمل الفنِّيِّ جيِّدِه من رديئه ، وصحيحه من زيفه " [٥] .

إذن فالمعنيُّ بـ (النقد) في هذا البحث هو النظر في مواضع الشبهات في كتاب: (الإنسان بين آدم والمسيح) لتحليلها وبيان عناصر الصحة والزيف فيها.

٢- شبهات: جمع شبهة وهي" الالتباس. وفي الشرع ما التبس أمره فلا يُدرى أحلالٌ هو أم حرام وحق هو أم باطل" [٦] ويقال " شبَّه عليه الأمر : أبهمه عليه حتى التبس بغيره "[٧] . وفي الكتاب موضوع هذا البحث مواضعُ التبَسَ فيها الخطأ بالصواب والحق بالباطل وهي المرادة من لفظ شبهات.

٣- (كتاب الإنسان بين آدم والمسيح ..الإنسان بين الشك واليقين): هو كتاب لمؤلفه: (المستشار محمد حسن سالم). وهذا العنوان قد صدرت به الطبعة الثانية من الكتاب وهو مودع بدار الكتب المصرية برقم ١١٨٠٤/٢٠٠٨م. ونشر عام ٢٠٠٩م وطبعته شركة ناس للطباعة بالقاهرة .

وهذا الكتاب يقع في أربعة أبواب استغرقت ثلاثمائة صحيفة، **الباب الأول** عنوانه: (أنواع الرسالات السماوية) ويتكون من سبعة مباحث حاول فيها المؤلف إثبات أن هناك فرقا بين رسالة المسيح-عليه السلام- وباقي الرسالات، فرسالة المسيح -عنده- رسالة رمزية في فعل المسيح وكلامه وليست رسالة بيانية تعتمد على البلاغ المباشر والبيان الواضح. والمسيح -كما يزعم المؤلف- لم يُرسل ليجهر بالرسالة ويدعو إليها كما كان المرسلون من قبله، ولكن ليُطلِق الأمثال والرموز ويترك الإنسان يجتهد في فهم أمثاله ورموزه .

---

(١) معجم مقاييس اللغة – ٥/ ٤٦٧- ابن فارس – تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون – ط: دار الفكر دون تاريخ.

(٢) السابق٥/٤٦٧

(٣) السابق ٥/٤٦٨

(٤) المعجم الفلسفي – ص ٢٠٥- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.

(٥) المعجم الوسيط – ص٩٤٤- مجمع اللغة العربية القاهرة – مكتبة الشروق الدولية – ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م.

(٦) السابق – ٤٧١.

(٧) السابق – ٤٧١.

أما الباب الثاني فعنوانه: (البحث والتحليل لآيات الرسالة) ويتكون من ستة مباحث وهدفه الرئيس هو إثبات أن المسيح–عليه السلام– هو رمز للإنسانية عموما وأن جميع مراحل حياة المسيح –عليه السلام– وأحداثها هي نماذج أساسية لجميع مراحل حياة الإنسان، وهذه المراحل والأحداث تكشف كشفا عمليًا عن بعض العقائد الغيبيَّة (السمعيَّات) التي أعلنها المرسلون الآخرون الذين أُرسلوا بالأخبار والكتب التي أوحي بها إليهم من ربهم .

وفي هذا الإطار يَعتبر أن ميلاد المسيح–عليه السلام– كشفٌ عمليٌّ عن خلق الإنسان وماهيته وتكوينه وأن ملاحقة الشيطان له كشفٌ عمليٌّ عن قصة صراع الإنسان والشيطان، وأن عذابه وصلبه على أيدي اليهود والرومان كشفٌ عمليٌّ للخبر الذي جاء به المرسلون الآخرون عن العذاب الذي يحيق بالإنسان عندما ينحرف عن منهج الله، وأن قيامته من القبر بعد ثلاثة أيام كشف عملي ظاهر لما جاءت به الرسالات الإخبارية الأخرى عن حقيقة البعث وحياة الإنسان بعد الموت وهكذا جاء المسيح في رسالته بالتطبيق العملي لما جاءت به الرسالات الإخبارية .

وهكذا يبدو أن المؤلف المستشار محمد حسن سالم منحاز لرسالة المسيح –عليه السلام– بدرجة كبيرة فقد فضَّل رسالته على كل الرسالات السابقة وأيضا الرسالة اللاحقة الخاتمة التي لا يُعرف ما فائدتها عند المؤلف بعد أن أعلن المسيح كلَّ حقائق الغيب إعلانا نهائيا كما يدَّعي المؤلف.

وأما **الباب الثالث** فعنوانه: (رسالة السيد المسيح في القرآن) وليس في هذا الباب إلا مبحثٌ واحد لا يتعدَّى ثلاث صحائف وفيه تخوَّضَ في آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمسيح–عليه السلام– ليؤولها بما يوافق نظرته للمسيح –عليه السلام– ولرسالته . وتأويله لهذه الآيات القرآنية يتطلب النقد والتقويم .

وأما **الباب الرابع** فعنوانه:(المَثَليَّة في أقوال السيد المسيح) ويتكون من ستة مباحث، وفيها تعرض لبعض الأقوال المنسوبة للمسيح –عليه السلام– في الأناجيل والتي يستدل بها النصارى على عقيدتهم في بنوة المسيح لله تعالى وفي طبيعته الإلهية وقد أوَّلها المؤلف تأويلا يتفق وعقيدةَ الإسلام في المسيح عليه السلام.

٤– المؤلف: (محمد حسن سالم):

لا توجد معلومات كافية عن هذا المؤلف، تتعلق بميلاده أو وفاته أو نوع التعليم الذي تلقاه، أو وظيفته، غير أنه وُصف بـ(المستشار) وهو وصف لم يُزل الإبهام الذي يحيط بالمؤلف. وهذا المؤلف غير معروف في الأوساط العلميَّة، ولا نُشر عن شخصيته– على حسب جهدي في البحث عنه – أيَّ شيء على شبكة المعلومات الدَّولية. وليس معنى هذا أن تُتجاهل الكتب المنشورة التي لا يعرف أصحابها بصورة واضحة، خاصة إذا تعلقت بموضوعات ذات طابع حسَّاس تتعلق بدين الإسلام، وإذا طُبعت ونشرت وذاعت بين القراء تحت أسماء إسلامية.

ومع هذا فيمكن إلقاء الضوء على الجانب العقدي والفكري للمؤلف من خلال إنتاجه الفكري ، وهو كمؤلف ليس له إلا كتابان وثيقي الصلة ببعضهما من جهة الموضوع والاتجاه، أحدهما: الكتاب موضوع البحث والثاني كتاب بعنوان: (الإنسان بين السماء والأرض) وقد اطَّلعتُ على الأخير في دار الكتب والوثائق

القومية وهو مودع برقم ٨٢/٢٧١١، برقم استدعاء: و/ ١٣٨٨٦ ، طبعة مطبعة العاصمة بالقاهرة دون تاريخ، ويقع هذا الكتاب في (٦٩١) إحدى وتسعين وستمائة صحيفة.

وموضوعه على حسب وصف المؤلف :

" رؤية ونظرية الكاتب معضَّدة بالعلم والدين في كل ما يتعلق بالوجود والتَّكوين"[١]، وأيضا: "مواجهة الفكر الإلحاديّ المنكِر للغيب والمنكر للدِّين ومخاطبة العقول المؤمنة بمقتضيات الإيمان وشرح نصوص الوحي ومخاطبة العقول بلغة العلم" [٢] .

والمؤلف في كتابه هذا مهموم بمواجهة الإلحاد ونقد التفسير المادّي لنشأة الكون والإنسان، ومنهجُه في ذلك أن يستفيد من الدين عموما مسيحيًّا كان أو إسلاميًّا في تفسير نشأة الكون وفي وجود التناسق والتقابل بين خلق الكون، وخلق الإنسان، فكل شيء في خلق الإنسان يقابله شيء في الكون، وكل عقيدة دينية يقابلها شيء في تكوين الإنسان، مما يعني وجود خالق واحد للكون والإنسان، وينتهي بدحض التفسير المادي لوجود الكون.

وللتوضيح أضرب أمثلة مما استأنس به المؤلف، فالأبُوَّة الأرضيَّة بين الأب وابنه رمزٌ للأبوة السماوية الإلهية بين الله والبشر[٣]. والإنسان رمز للحقيقية الكونية حيث إن روحه رمز للسماء، وجسده رمز للأرض[٤]. والكعبة رمزٌ للروح. والمسجد الحرام رمزٌ للملكوت. والطائفون حول الكعبة رمز لوجود الملائكة. ومكة رمزٌ للعرش. وموضع الرَّجم رمزٌ لصراع الإنسان مع الشيطان. والهرولة في المسعى رمزٌ لكدح الإنسان على الأرض[٥] . والرسول -ﷺ-رمز للإسلام[٦].

ومن جهة أخرى يرى أن هيكل الإنسان مخلوق على شكل الصليب، ويظهر إذا رفع الإنسان يديه حذاء كتفيه وهذا الصليب يحمل الجسد، أما الروح فمُعلَّقة عليه تعاني من العذاب والشقاء والآلام ومن ثم توجَّب على الإنسان أن يحرر نفسه من صليبه بالطاعة والعبادة ، لاسيما الصلاة حيث يقول عنها:

" فمن حكم تشريعها التخلُّص من صليبيَّة الشيطان ومحاولته الدائبة في شدِّ الإنسان إليه ومنعه من الحركة، ولكن بالركوع والسجود والقيام والقعود ما قد يساعد على التخلص من الصليب المشدود إليه الإنسان والقابع بين كتفيه حاملا لمظاهر الهدم المتمثلة في الجسد"[٧] . ثم يقول :

---

(١) الإنسان بين السماء والأرض - ص٣- محمد حسن سالم - ط مطبعة العاصمة بالقاهرة - دون تاريخ.

(٢) السابق- ص ٩.

(٣) السابق ٥٩٢.

(٤) السابق ٦٠٥.

(٥) السابق ٦١٥.

(٦) يقول : " ولأن سيدنا محمد ﷺ هو أعظم مثل للإسلام حيث كان مظهره المتمثل في عبادته ومعاملاته التعبير الحق عن الإسلام جوهرا" الإنسان بين السماء والأرض " ص ٦٢٤.

(٧) السابق ص٥٦٧.

" ومن ثَمَّ على الإنسان أن يُطوِّع صليبَه ويجعل هيكله العظمي الممثل للهدم والعدم أداة ليِّنة طيِّعة في جسده بحيث يكون الإنسان هو المسيطر عليه حتى تتحرر الروح من ربقة هذا الحامل الكريه الذي يعمل على تقييد الروح كما قيَّد الجسد"(١).

وهكذا يتقبل المؤلِّف بعض ما جاء في التراث المسيحي وإن تعارض مع القرآن الكريم، ويتحرك مرتكزا على فكرةِ التقابل الرمزي بين ثلاثيَّة: (الإيمان، والكون، والإنسان) في تراث الأديان، ويرى أن هذه الثلاثية وحدة متناسقةُ متقابلة العناصر، متكافئةُ الأشباه والنظائر، وهذا يؤدي في نظره إلى دحض الفكر المادي الخالص الذي رمى الإنسان في هاوية الإلحاد.

وهذا التِّجوال الفكري قد فرض عليه ألاَّ ينطلق من عقيدته الإسلاميَّة ويزن بميزانها، بل قَبِل ما في المسيحية من أشياء تناقض ما جاء به القرآن الكريم، واجتهد أن يتأوَّل آيات القرآن الكريم بما يحقق توافقها مع معطيات الأناجيل ومن النماذج الدَّالة على ذلك أنموذج القبض على المسيح وتعذيبه بألوان العذاب وأنموذج الصَّلب المزعوم للمسيح عليه السلام .وهو من جهة أخرى يُطوِّع كثيرا من نصوص الأناجيل وفقا للعقيدة الإسلامية مخالفا بذلك التصور المسيحي لهذه النصوص(٢) .

وأودُّ الإشارة إلى أن النظر في نوع الألفاظ التي يستخدمها تشعر بانتماء الكاتب إلى التراث المسيحي فهو لا يذكر كلمة (المسيح) إلا مقرونة بـ (السيد)(٣) ويفضل استعمال لفظ (الرب)(٤) على لفظ الجلالة (الله) ويستعمل مفردات مسيحية مثل : ابن الإنسان ، والجسد ، وسفك الدم من أجل الإنسان (٥) .

---

(١)الإنسان بين السماء والأرض ص ٥٦٧ .ويقول أيضا : " كما يتعين على الإنسان أنه إذا اراد لنفسه السلامة والفوز أن يلجأ لربه سبحانه وتعالى ويسير على منهجه ودينه في الحياة الدنيا حيث إن في ذلك وحده الخلاص من ذلك الصليب الرابض على الأرض في كيان وهيكل الإنسان والذي يرمز للهدم والعدم بكل عناصره فلن يتخلص الإنسان من العذاب والآلام والشقاء وكافة مسميات وعناصر الهدم الشيطاني إلا إن تحرر من هذا الصليب " نفسه ص ٥٣١.

(٢) من أمثلة ذلك : تأويله: "أبي الذي في السماوات"[إنجيل متى إصحاح ١٠ فقرة ٣٣] بأنه لا يقصد القول بأنه ابن الله بنوة نسب أو مواقعة فالله منزه ليس له صاحبة ولا ولد بل يعني انه ابن الله بنوة خلق بوصفه من روح الرب شأن آدم وشأن كل إنسان "الإنسان بين آدم والمسيح – ص٢٦٨.

قوله في عبارة : " أنا والآب واحد"[إنجيل يوحنا الأصحاح العاشر فقرة ٣٠] أن(المسيح يتكلم بصفته رمزا للإنسان وأن كل البشر من روح الرب وأنهم جميعا متوحدون في ذاته فالكل في واحد) ينظر: الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٧٠.

وقوله في عبارة "أنا هو القيامة والحياة :"[يوحنا ٢٥/١١] : كل من عرف مضمون رسالة المسيح وآمن به كرسول من رب العالمين وتبع نهجه فستكون له الحياة الأبدية ولن يموت أبدا" ينظر : الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٧٣.

وفي قوله " أفسحوا الطريق للرب " [هكذا نقلها والصواب : أعدوا طريق الرب سفر إشعياء ٣/٤٠] يقول إن :"هذه نبوءة إشعياء ومعناها أعدوا أنفسكم للمنهج الذي يأتيكم به المسيح من الرب" ينظر الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٧٤ .

(٣) في صحيفة المقدمة وحدها ذكر لفظ (السيد المسيح) خمس مرات ص ٥ ، وهكذا في باقي الكتاب.

(٤) سأكتفي بفقرة واحدة من عشرات الفقرات التي تدل على ذلك . يقول : " ولأن الإنسان عظيم القدر عند الرب ...وعظيم القدرات بما يحمله في مكنون ذاته من روح الرب؛ ولأنه المخلوق المحبب والمفضل عند الرب ، فقد ناصبه الشيطان الرجيم العداء منذ بداية الخليقة حسدا وحقدا وبغضا وكراهية ، وأعلمن ذلك في الملكوت ألأعلى وأمام الرب ..." الإنسان بين آدم والمسيح ص ٧.

(٥) يقول " بذل ابنُ الإنسان جسده من أجل الإنسان وتم سفكُ دمِه من أجل الإنسان أي من أجل أن يرى فيه الإنسان المثل والآية.." الإنسان بين آدم والمسيح ص ١٥٠.

والأفكار التي جاء بها المؤلف في الكتاب موضوع الدراسة قد كتبها قبل ذلك بسبع وعشرين سنة تقريبا في كتابه: (الإنسان بين السماء والأرض) تحت عنوان (الرمزية ورسالة السيد المسيح عليه السلام) من ص ٦٢٥ حتى ص ٦٦٩ أي في أربع وأربعين صفحة ولكنها زادها توسُّعا وتركيزا وإضافة في كتابه (الإنسان بين آدم والمسيح " الإنسان بين الشك واليقين ") الذي نشره سنة ٢٠٠٩ م

وثمة نقطة أخرى أود الإشارة إليها وهي ضعف المؤلف في النحو وكثرة أخطائه النحوية وهذا ظاهر جدا في كتابيه فمثلا: يقول في كتابه:(الإنسان بين آدم والمسيح) ص ٢٧: "... بحيث لا يكون هناك مجالا بعدها لأي شك أو تكذيب " والصواب : (لا يكون هناك مجال) لأن مجال اسم كان مرفوع بالضمة. وفي ص ٣٠ يقول: " ولما تعجبت العذراء كيف يكون لها وليدا وهي لم تعاشر رجل " والصواب : (كيف يكون لها وليد) لأن (وليد) اسم كان مؤخر ويجب رفعه. وفي ص ٣٧ يقول: "..لنصل إلى الإجابة على هذه التساؤلات وإلى فهم بعضا من أسرار الرسالة " والصواب : (وإلى فهم بعض) لأن (بعض) مضاف إليه مجرور . وفي ص ٤٣ يقول : "من جملة ما يقرب من مائة وعشرين ألف مبعوثا) والصواب (مائة وعشرين ألف مبعوث) لأن (مبعوث) مضاف إليه مجرور. وفي ص ٢١٦ : " إنه [المسيح عليه السلام] لم يخوض تجربة العذاب والآلام ...." والصواب : لم يخض لأن الفعل المضارع مجزوم بـ (لم) وجزمه بحذف حرف العلة . وفي ص ٢١٧ يقول : " ..لأن هناك أناس لهم عقول لا يفقهون بها ..." والصواب : (لأن هناك أناسا لهم) لأن أناس اسم (أن) مؤخر.

وفي كتابه (الإنسان بين السماء والأرض) يقول : (القضية الكلية الأولى المتعلقة بالإنسان بوصفه مخلوق إلهي وأنه ...) والصواب : (بوصفه مخلوقا إلهيا) لأن المصدر هنا يعمل عمل فعله والتقدير: صِفْه مخلوقا إلهيا ويكون مخلوقا مفعول ثان وإلهيا نعت له. وفي ص ١٦٤ يقول : (إن القول بمادية الإنسان خطأ علميا فاحشا) والصواب : (خطأ علمي فاحش) لأن (خطأ) خبر إن مرفوع ، و(علمي) نعت لها. وفي ص ١٦٩ يقول : (وقبل أن ننتهي من عرض المبحث الخاص بماهية الإنسان لنا تحفظين ينبغي أن نذكرهما) والصواب (لنا تحفظان) لأنها مبتدأ مؤخر. والسعي في حصر هذه الأخطاء النحوية يطول جدا وإنما كان الغرض من ذكر هذه الأمثلة بيان مدى اجتراء المؤلف على التخوُّض في آيات القرآن الكريم بغير عُدة تمكنه من خوض هذا الميدان .

هذا والكتاب (موضوع هذا البحث) يحوي أفكارا تتطلب التحليل والمناقشة لبيان ما بها من لبس ، وتفكيك ما بها من شبهات تتعلق بالإسلام .

ثانيا : ظاهرة مهاجمة الإسلام تحت أسماء وهمية.

لا أعني بهذا العنوان أن المؤلف شخصية وهمية لا وجود لها ولكن عجزي عن الوصول إلى ما يزيل الإبهام المحيط به مع خوضه في هذه القضايا الدقيقة صادف في نفسي قلقا من أسلوب شائع يتخذ منه الكارهون للإسلام وسيلة لمهاجمته، ويثيرون الشبهات والشكوك حول هذا الدين الخاتم متوارين خلف أسماء وهمية، وهذا يُفقد أعمالهم مصداقيتها، فلو كانوا واثقين من مبادئهم لأبرزوا أنفسهم ببيانات صادقة يمكن التحقق منها، ولكنهم لم يفعلوا، وقد أتاحت لهم وسائل النشر الإلكتروني فرصا كبيرة لتحقيق

أغراضهم الدنيئة، فنشروا- مثلا- تحت اسم (عباس عبد النور) [١] و (المقريزي) [٢] وغير هذا من الأسماء التي لا ينبغي ذكرها حتى لا يُروَّج لها .

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع.

١. الرغبة في القيام بالواجب الدعوي في الدفاع عن الإسلام ورد ما يثار حوله من شبهات.
٢. التنبيه على ما في هذا الكتاب (موضوع البحث) من أخطاء، وتحليل ما به من شبهات وتفنيدها.
٣. أن الكتاب موضوع البحث قد طبع ونشر وتم تداوله بين القراء، والواجب يحتم دراسته وتحليله ونقده.

رابعا : أسئلة البحث:

يجيب هذا البحث على الأسئلة الآتية:

١. هل هناك فرق بين رسالة المسيح-عليه السلام- ورسالات المرسَلين الآخرين كما يعرضها المستشار محمد حسن سالم؟.
٢. هل رسالة المسيح -عليه السلام- هي أحداث عملية صامتة ليتأملها الإنسان، وهل كلامه رموز وإشارات يستنبط المخاطب معانيها كما يصورها المؤلف محمد حسن سالم؟.
٣. هل رسالة المسيح قدمت اليقين الذي لا شك فيه، أما الرسالات الأخرى كلها فقدمت الشك الذي يحتاج لليقين؟.
٤. هل الرؤية الوعظية التي قدمها المؤلف محمد حسن سالم حول رواية بعض الأناجيل عن مواقف المسيح مع الشيطان وأتباع الشيطان رؤية صحيحة؟ .
٥. هل يدل القرآن الكريم على صلب المسيح-عليه السلام- على أيدي أعدائه من اليهود والرومان؟.
٦. هل فهم المؤلف للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم وعلاقته بحديث القرآن عن المسيح -عليه السلام- فهم صحيح؟
٧. هل كتاب (الإنسان بين آدم والمسيح ..الإنسان بين الشك واليقين) للمستشار محمد حسن سالم يتوافق مع العقيدة الإسلامية والفكر القائم عليها؟.

---

(١) تحت اسم عباس عبد النور نشر كتاب (محنتي مع القرآن) وهو كتاب مليء بالشبهات الباطلة حول القرآن والإسلام والمعلومات التي نشرت عن الكاتب ليس فيها مؤشر واحد يدل على شخصية حقيقية ، وقد قام الدكتور / إبراهيم عوض أستاذ النقد الأدبي بجامعة عين شمس بالرد على هذا الكتاب وتفنيد أضاليله في مقال بعنوان : عباس عبد النور محنته مع القرآن أم مع عقله ؟ بين فيه بالأدلة أن اسم المؤلف اسم وهمي . ينظر الرابط : https://goo.gl/U1T88b.

(٢) تحت هذا الاسم الوهمي نشر موقع (إسلاميات) وهو أحد المواقع المسيحية كتابا بعنوان :(المجهول في حياة الرسول) ، وهو كتاب طافح بالحقد والأكاذيب على خاتم المرسلين ﷺ . وهو موجود على الموقع : https://goo.gl/nRPpB٤ وكذلك موقع (مركز الكلمة المسيحي) ورابطه : https://goo.gl/iEmtiD.

خامسا : مناهج البحث :

١. **المنهج الوصفي** : وهو المنهج " الذي يكتفي بوصف الظواهر المراد دراستها" (١) وموضع استخدامه في هذا البحث هو عرض الشبهة عرضا أوليا أتطرق بعده إلى تحليلها وبيان أجزائها المكونة لها.

٢. **المنهج التحليلي:** وهو " منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره المكونة له" (٢) والحاجة إليه هنا في رد الشبهة إلى عناصرها المكونة لها لتحديد موضع النقد بدقة قبل مناقشته. وكذلك تحليل النصوص التي سوف أستدل بها على بيان مواطن الصواب والخطأ فيما ادعاه المؤلف.

٣. **المنهج النقدي** : تعني كلمة النقد في اللغة تمييز الحق من الزيف ومنه سمي ناقد الدراهم أي الذي يفحصها ليميز صحيحها من زائفها (٣) بناء على ما عنده من معايير الصحة والزيف والمراد به هنا: "إنما هو عملية محاكمة وتقويم تهدف إلى التصحيح والترشيد من خلال بيان مواطن الخطأ والصواب بناء على مقاييس متفق على جلها أو كلها كقواعد فهم النصوص الشرعية أو قواعد الاستنباط ..."(٤) مما يشكل في النهاية المعايير التي تحدد الخطأ من الصواب.

٤. **المنهج الإستقرائي،** وستكون الحاجة إليه في حصر الشبهات التي أثيرت في الكتاب موضوع هذا البحث ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذا البحث لم يحص جميع الشبهات الواردة في الكتاب وإنما أحصيت الشبهات الرئيسة التي تنبني عليها شبهات أخرى والتي يعتبر الخوض فيها تكرارا (٥) يطيل البحث دون حاجة للإطالة.

خامسا: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

أولا : المقدمة.

ثانيا: التمهيد ويتضمن تحرير مفردات عنوان البحث ، وخطة البحث.

ثالثا: خطة البحث :

المبحث الأول : طبيعة رسالة المسيح عليه السلام وآثارها كما يصورها المؤلف (عرض ونقد)

المطلب الأول : طبيعة رسالة المسيح عليه السلام كما يصورها المؤلف (عرض ونقد).

---

(١) مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث – د/ عبد الفتاح محمد العيسوي ، د/ عبد الرحمن محمد العيسوي – ص١٨– ط / دار الراتب العلمية – ١٩٩٦/١٩٩٧.

(٢) المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ص ٤٠– ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.

(٣) ينظر : لسان العرب – جمال الدين بن منظور – باب الدال فصل النون– ج٣ ص٤٢٥– ط دار صادر –بيروت – دون تاريخ.

(٤) ينظر أبجديات البحث في العلوم الشرعية – ص٩٨ – د/ فريد الأنصاري – الطبعة الأولى – منشورات الفرقان – الدار البيضاء ١٤١٧هـ ١٩٧٧م .

(٥) مثال ذلك دعوى المؤلف أن قيامة المسيح–عليه السلام– من القبر بعد ثلاثة أيام مشهدٌ حي لصعود أرواح الموتى من البشر من قبورهم بعد ثلاثة أيام . الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٥٤. وهذه الشبهة مترتبة على الاعتقاد بصلب المسيح ودفنه وسوف أفند دعوى الصلب في موضعها من البحث فيبطل ما يترتب عليها.

المطلب الثاني : آثار فهم المؤلف لطبيعة المسيح ﵇(عرض ونقد).

المبحث الثاني : شبهات المؤلف حول القرآن الكريم (عرض ونقد).

المطلب الأول : شبهة المؤلف حول المحكم والمتشابه في القرآن الكريم (عرض ونقد).

المطلب الثاني : شبهات المؤلف حول بعض آيات القرآن الكريم (عرض ونقد).

خاتمة البحث: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : طبيعة رسالة المسيح وآثارها كما يصورها المؤلف عرض ونقد.

المطلب الأول : طبيعة رسالة المسيح ﷺ كما يصورها المؤلف عرض ونقد.

يُقسِّم المؤلِّف الرسالاتِ الإلهيةَ إلى نوعين:

النوع الأول : الرسالات المباشرة وهي الرسالات التي جاء بها كلُّ المرسلين إلا المسيح–ﷺ– فكل المرسلين –دون استثناء–كانوا يبلِّغون الناس أنهم رسلٌ من الله جاؤوا لبلاغ مراد الله من عباده ، ولا يدخرون جهدا في تبليغ الرسالات مستعينين في ذلك بما أمكن من وسائل البلاغ، مثل فصاحة الكلام وسحر البيان. ويزعم أن الحقائق والأخبار المعلنة في هذا النوع من الرسائل من باب الغيب الذي يقبل الشك لأن أحدا لم يره وإنما يصدقه من يصدقه على أساس الإيمان ويحتاج إلى إعمال الفكر والعقل للتأكد من صدق نصوص هذه الرسالات(١).

النوع الثاني : هو الرسالات الرمزية، وهذا النوع خاص برسالة المسيح –ﷺ– ويعني بها المؤلف أن المسيح –ﷺ– لم يأت ليبلغ الرسالة عن طريق الكلام – ولكن ليُمَثِّل حقائق مِثل: خلق الإنسان وصراعِه مع الشيطان، وآلامِه الدنيوية، وعذابِه ، وموتِه ، وقيامِه من الموت – جاء ليمثِّل كلَّ ذلك تمثيلا عمليًا ويتركَ الإنسان بعد ذلك يتأمَّل ويستنبط ويفهم(٢). ويفرق المؤلف بين الرسائل المباشرة وغير المباشرة بأن الرسول غيرُ الرسالة في الرسائل المباشرة، أما الأخرى فالمرسل فيها هو عين الرِّسالة الممثِّل لأحداثها تمثيلا فعليا حركيا(٣).

وينتهي المؤلف إلى أن رسالة المسيح " في جملتها رسالة أحداث ووقائع ومواقف عمليَّة حية ومجسدة وليست كسائر الرسالات التي قامت على النصوص والتعاليم اللفظية النظرية"(٤).

---

(١) يقول عن الرسائل المباشرة :((أي التي يكون مضمونها ظاهر البيان ومباشر التوجيه ففيها يعلن الرسول عن نفسه وعن ماهيته وهويته كما يعلن عن هدف الرسالة ومضمونها بصورة واضحة صريحة كما يبذل كل الجهد لشرح الرسالة وبكل ما تحمله من حقائق ، ويستعين في ذلك بسحر البيان وفصاحة اللسان وسلامة المنطق وعرض الحقائق وإخلاص النصح والإرشاد ، ومع ذلك يظل هناك جانب خفي أو سبب غامض يشوب هذا النوع من الرسالات السماوية ويتمثل في أن كل الحقائق التي تحملها الرسالة حقائق غيبية لأنها تقوم على نصوص نظرية تستوجب إعمال الفكر والعقل لتصديقها والإيمان بها وبمن يبلغها عن الرب أي انها تخضع لمبدأ "الاختبار والاختيار" وقد جاءت معظم الرسالات السماوية بالأسلوب المباشر" الإنسان بين آدم والمسيح–محمد حسن سالم ص١٦، ١٧. وفي اعتقادي أن هذا تلميح لرسالة خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ لأن رسالته ﷺ هي الرسالة الوحيدة التي كانت معجزتها الكبرى هي كتابها وهو معجزة بيانية لغوية في المقام الأول ومن من جنس ما برع فيه المرسل إليهم وهم العرب .

(٢) يقول عن هذا النوع من الرسائل : "يعلن فيها الرسول عن نفسه، وعن رسالته ، ومضمونها ، وما تحمله من حقائق تتعلق بالإنسان، ولكن في إطار من المثلية والرمزية، وفي صورة أحداث عملية مرئية حية ومجسدة ومؤيدة بالأدلة المادية ومن ثم فإن بالرغم من أن الأحداث فيها ظاهرة ومرئية وحية ومجسدة ومؤيدة بالأدلة المادية إلا إنها بوصفها أحداث رمزية مثلية إلا أنه لا يمكن التوصل لحقيقة مغزاها وفحواها إلا بعد حل وفك الشفرة الرمزية والمثلية التي ينطوي عليها الحدث المرئي الحي والمجسد أمام الكافة في كل مراحل الرسالة " الإنسان بين آدم والمسيح ص ١٨.

(٣) ينظر : الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢١– ٣٢.

(٤) ينظر: الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٥.

بناء على ما سبق يزعم المؤلف أن المسيح كان قليل الكلام لأنه لم يُرسل برسالة نُصُوصيَّة يبلّغها وتنتهي مهمته، لكنَّه " لا ينطق ولا يعبِّر عن الرسالة وعن مكنونه إلا بالأمثال في الأغلب الأعم"(١). ذلك أن رسالته – عند المؤلف– واضحة في سيرته كلها لا تحتاج إلى خطب ولا مجادلات فحياته هي الرسالة نفسها.

كما يشير إلى أن رسالة المسيح : " رسالة (مَثَلِيَّة) ترمز إلى ما وراء ظاهر القول وما وراء الأحداث والمواقف، كما أوضح السيد المسيح مضمون الرسالة كذلك بذات النهج في قولته " فأعلن ما كان خافيا منذ إنشاء العالم"(٢) ، أي أعلن في حياتي وسيرتي ومواقفي وأعمالي ما بلغه المرسلون الآخرون بنصوصهم وخطبهم وكلماتهم وكتبهم .

وخلاصة القضية التي عرضها المؤلف تتحدد في: أن رسالة المسيح–عليه السلام– تختلف عن رسالات كل رسل الله – عليهم السلام– وأوجه هذا الخلاف هي:

- أن المسيح جاء ليعرض الأخبار الغيبيَّة بصورة مادية عمليَّة– على حسب تعبيرات المؤلف– ويعني بهذه الأخبار : خلقَ آدم–عليه السلام– وأكلَه من الشجرة وانخداعَه بوسوسة الشيطان، ونزولَه إلى الأرض وشقاءَه فيها، أما المرسلون الآخرون فجاءوا ليبلغوا الرسالة عبر الوحي الذي كان ينزل عليهم من الله عز وجل.
- كانت وسيلة المرسلين في البلاغ هي الكلام الصريح وتوجيه الخطاب لمن أُرسلوا إليهم، أما المسيح فكان قليل الكلام، وإذا تكلم فبالأمثال التي ترمز لما يريده، وبإعادة مشاهد ما جاء به المرسلون من الأخبار بصورة عملية يقينية.
- أن الإنجيل قد صرح بأن المسيح جاء ليعلن ما كان مخفيا منذ إنشاء العالم، وإعلانه بأحداث حياة المسيح –عليه السلام– ومواقفه وليس بالكلام أو الوحي المكتوب.

وعلى هذا الأساس يبني المؤلف أفكاره في كتابه موضوع هذا البحث .

وسأناقش هذه الشبهة من خلال النقاط الآتية :

أولا : (إثبات أن رسالة المسيح –عليه السلام–لا تختلف عن غيره من المرسلين).

إن التقسيم الذي جاء به المؤلف للرسالات لا دليل عليه في أي من النصوص ولا حتى في الأقوال المنسوبة للمسيح –عليه السلام–نفسه، والمؤلف لم يقدِّم دليلا يُعتدُّ به على هذا التقسيم، وما قدَّمه ممّا يعتبُره أدلة فاستدلاله به في غير موضعه .

(١)الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٨.

(٢)الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٩. ويعني المؤلف بـ(ما كان خفيا منذ إنشاء العالم) قضايا : خلق الإنسان ، وموقف الشيطان منه ، والآلام الدنيوية التي يقاسيها ، وموته ، وقيامته من الموت .، فهذا كله –كما سيأتي عرضه ونقده في موضعه – إن شاء الله تعالى– ما جاء المسيح ليعلنه عن طريق التمثيل والتنفيذ وضرب الأمثال الرمزية.

إن الدَّليل الوحيد الذي قدَّمه المؤلف يعتبر حُجَّة عليه، بل يؤكِّد دليلُه هذا أن رسالة المسيح كرسالات غيره من المرسلين موَجَّهةٌ توجيها مباشرا واضحا للإنسان ليستطيع فهمَها وتقبُّلَها. وهذا الدليل هو ما نُسب إلى المسيح-عليه السلام- من قوله: (فأعلن ما كان خافيا منذ إنشاء العالم) ، فهذا النص لا يدل على مراد المؤلف؛ حيث يصرح النص بأن المسيح جاء ليعلن ، والإعلان يتطلب الجهر والوضوح ، ولكن المؤلف يقدم لنا المسيح صامتا إلا من إشارة أو رمز.

يُضاف إلى ذلك أن هذا النص مُقتَبس بالمعنى أما نصه الأصل ففي إنجيل متَّى كالآتي:

« هذا كلُّه كلم به يسوع الجموع بأمثال . وبدون مثل لم يكن يكلِّمُهم. لكي يتمَّ ما قيل بالنَّبي القائل سأفتح بأمثال فمي، وأنطق بمكتوماتٍ منذ تأسيس العالم»[١] .

ومن المهم هنا ملاحظة أن هذه العبارة من إضافات متَّى كاتب الإنجيل حيث يحكي عن المسيح فالمسيح-عليه السلام- لم يتفوَّه بها، ولكن متَّى كاتبَ الإنجيل هو الذي عقَّب على أسلوب نبيِّه في الدعوة وجعل هذا الأسلوب تحقيقا لنبوءة نبيٍّ سابق علي المسيح - كما سيأتي بيانه بعد قليل- وعليه فإن المؤلف قد أخطأ في نسبة هذا القول للمسيح-عليه السلام- ويترتب عليه انهيار كل التصورات التي قدَّمها تأسيسا على نسبة هذا القول للمسيح.

وأضيفُ لما سبق أن هذا النص منزوع من سياقه، ومُوجَّهٌ إلى غير وجهته؛ فالنص قد أَتَي بعد سرد إنجيل متَّى لعدَّة أمثلة توضيحيّةٍ ضربَها المسيح -عليه السلام- لتلاميذه يوضِّح لهم أن ملكوت السموات في الآخرة سيكون لمن أحسن العمل في الدنيا، ثم يبيِّن متَّى كاتبُ الإنجيل لماذا ضرب المسيح -عليه السلام- هذه الأمثلة كلَّها، ولماذا لم يكن يتكلم إلا بالأمثال، فيبيِّن أن هذا تحقيق لنبوءة النبيِّ الذي قال: "سأفتح بأمثال فمي، وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم". وهو هنا يشير إلى ما جاء في المزمور الثامن والسبعين المنسوب للنَّبيِّ داودَ -عليه السلام- :

« اصغَ يا شعبي إلى شريعتي. أميلوا آذانكم إلى كلامِ فمي. أفتح بمثَلٍ فمي. أذيع ألغازا منذ القدم. التي **سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا**. لا نخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع»[٢] .

ودلالة السياق في النصين الأصلي والمقتبس ذات أهمية هنا، فالسياق في نص المزامير هو طلب النبي من شعبه أن يُصغُوا له لأنه سيكلمهم بأمثال موروثةٍ عن آبائهم، وتنتقل من جيل إلى جيل، فهي واضحة شائعة، أما السياق في نص إنجيل متىَّ فبيان من كاتب الإنجيل لسببِ إكثار المسيح-عليه السلام- من توضيح المعاني باستخدام المثل، وأنه بذلك يواصل نهج سلفه داود - عليه السلام- في تبليغ الوحي الإلهي من جيل إلى جيل عن طريق تبليغ المرسلين لأممهم ، تؤكد ذلك عبارة متَّى : (لكي يتم ما قيل بالنبي القائل..) .

---

(١) إنجيل متى ١٣/ ٣٤، ٣٥.

(٢) المزمور ٧٨/١-٤.

وبناء عليه فإن المؤلف عندما زعم أن معنى إعلان ما كان خفيا هو تمثيل عمليٌّ وليس إخبارا شفهيا دعويا كما كان المرسلون–عليهم السلام– فقد أخرج النص من سياقه، وبهذا يبطل الدليل الوحيد الذي استدلَّ به على كون رسالة المسيح مختلفةٌ عما قبلها من رسالات الأنبياء السابقين وما بعدها من رسالة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: هل كان كلام المسيح –عليه السلام– رموزا غامضة ؟

وقد حاد المؤلف عن الصواب عندما زعم أن ضرب المسيح– عليه السلام– للأمثال يعني رمزيَّة كلامه؛ فكل ما نُسب للمسيح –عليه السلام– من أمثال في الأناجيل فإنه من باب التشبيه الذي يُراد به الشرح والتعليم وجلاء الفكرة. والمثال إنما يُساق لمزيد من التوضيح للمتلقِّي وإزالة إبهام الفكرة المراد توضيحها له، وسأسوق نموذجا من إنجيل مرقس يوضح وظيفة الأمثال في كلام المسيح –عليه السلام–:

« وقال: بماذا نُشَبِّه ملكوت الله أي بأيِّ مثل نُمثِّله. مثل حبة خردل متى زُرعت في الأرض فهي أصغر جميع البزور[هكذا] التي على الأرض ولكن متَى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغصانا كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها. وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا . »(١) .

ومع وضوح وظيفة المثال في كلام المسيح –عليه السلام– فإن المؤلف يستخدمه على أنه (نص ظاهر يكمن خلفه معنى باطن) فقلب وظيفة المثال رأسا على عقب .

والسؤال هنا عن فائدة أن يأتي مرسَل من الله برسالة كاملة كلها رموز وإشارات تحتاج إلى جهد عقلي في فك رموزها؟ لماذا لا يُفصح الله – تعالى– لخلقه مباشرة عما يريده منهم ؟.

يضاف إلى هذا أن دعوى رمزية رسالة المسيح تعتبر انحرافا عن الخط العام الذي جاء به المرسلون– عليهم السلام– جميعا ، خاصة وأن رسالة النبي الخاتم –صلى الله عليه وسلم– رسالة مباشرة – على حسب وصف المؤلف – تعتمد على فصاحة البيان وإعجاز الكلام، فلماذا تكون رسالة المسيح مسبوقة ومتبوعة برسالة تختلف عن نوعها الذي يزعمه المؤلف؟ وما الحكمة أن يبعث الله تعالى أنبياءه برسالات مباشرة كلامية غيبية – على زعم المؤلف وبألفاظه – وهي رسالات موضع شك ثم يبعث رسولا– هو المسيحعليه السلام– برسالة مختلفة حيث يتكلم بالرمز ويكشف عن حقائق الغيب التي بلَّغها من قبله بالتمثيل الحيّ والبراهين المادية والقطعية – باستخدام تعبير المؤلف وألفاظه أيضا – ليصل بالإنسان إلى اليقين ، ثم يبعث بعدها رسولا خاتما للمرسلين برسالة من النوع الأول؟ هل هذا يناسب الحكمة الإلهية ؟ أم أنه يناسب هوى المؤلف في الانحياز للمسيح –عليه السلام– وتفضيله على الأنبياء السابقين وعلى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟.

إن آيات القرآن الكريم لا تفرق بين طبائع الرسالات التي جاء بها المرسلون– عليهم صلوات الله وسلامه – فكلهم أفصحوا لمدعويهم عن مراد الله تعالى منهم ولم يرسل أحدهم برموز ولا مبهمات، بل

---

(١) إنجيل مرقس ٤/ ٣٠-٣٣.

العكس هو الصحيح فقد وصف الله تعالى بلاغهم بأنه بلاغ مبين ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(١) . وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(٢) .

من هذه الأدلة يتضح أن الله تعالى أرسل المرسلين جميعا برسالة واحدة واضحة لا غموض فيها ولا تحتاج من المدعوين لاتباعها كبير جهد في فهم أصولها وقواعدها العامة من العقائد والتشريعات والقيم ومن ثم فتقسيمها إلى رسالات مباشرة وغير مباشرة تقسيم غير صحيح.

كما أن أدلة الأناجيل واضحة في كون المسيح -عليه السلام- عرض رسالته دون إلغاز أو تعمية جاء في إنجيل يوحنا :" فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية أنا علَّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما وفي الخفاء لم أتكلم بشيء " (٣) .

والعبارة صريحة في كون المسيح -عليه السلام- لم يُخْفِ شيئا ولم يقل كلاما غامضا لتذهب العقول في تفسير مذاهب متعددة .

ومن النصوص الإنجيلية الدالة على ذلك ما جاء في متى : " وكان يسوع يطوف الجليل يعلِّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت" (٤).

ويُنسب إليه أيضا:

" ليس مكتوم لن يستعلن، ولا خفي لن يُعرف، الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح ، ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس" (٥).

وفي توجيه صريح يبيّن لحوارييه أن من يسمع كلامه ويؤمن بالله الذي أرسله سيحظى بالخلود في النعيم جاء في إنجيل يوحنا (٦) : " الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبديَّةٌ ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة " فهو – عليه السلام-ككل المرسلين يريد أن يبلغ كلام الله ويرجو أن يحفظ عنه .

---

(١) سورة النحل . الآية : ٣٥.

(٢) سورة يس الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) إنجيل يوحنا ١٩/١٨، ٢٠.

(٤) إنجيل متى ٢٣/٤. وفيه أيضا :" وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب " متى ٣٥/٩. وفيه أيضا : " فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبِّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يُشبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما " متى ٧/ ٢٤-٢٧ .

(٥) إنجيل متى ٢٦/١٠.

(٦) إنجيل يوحنا ٢٤/٥.

وكان ككل المرسلين الذين تلقوا كتبهم بوحي الله يدعوهم إلى الإيمان بالإنجيل الذي أنزله الله عليه يقول:" قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل "[١]. ومع هذا يتجاهل المؤلف تماما وجود الإنجيل الموحى به من الله–ﷻ– للمسيح عيسى عليه السلام.

كما أنه أوضح أن رسالته لا تختلف عن رسالات النبيين السابقين الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل فقُتلوا :

« يا أورُشَليم يا أورُشَليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا»[٢].

فهو يصرح أن إحدى مهام رسالته هداية بني إسرائيل كما كان الأنبياء من قبله وأن أكثر بني إسرائيل يريدون قتله كما فعلوا بمن سبقه « ووجه الدلالة من هذا الكلام : أنهم كانوا يثبون عليه في المجالس بأورشليم يريدون قتله، إذ كان يفحمهم بالحجج، فربما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب، وقد قتلوا عدَّة من أنبيائهم فكأنه يقول: تريدون قتلي كما قتلتم من تقدَّمني»[٣] .

ومن « المعلوم أن مشيئة المسيح[عليه السلام] كانت متعلقة بمتابعة بني إسرائيل له، وجمعهم على الهدى هذا شأن الأنبياء الهادين»[٤] ومن أجل ذلك « كان المسيح–عليه السلام– يبالغ في الموعظة والتشديد بالنصيحة طبقا لما أمره الله تعالى بتبليغه إياهم وهم يزدادون حنقا عليه وغيظا منه حتى تجمعت جموعهم لقتله وصلبه فرفعه الله إليه »[٥] .

بل إن كتاب النصارى وشراح الأناجيل – بغض الطرف عن عقيدتهم في طبيعته– قد رأوا في المسيح معلِّما مرسلا برسالة يريد بلاغها. وقد فعل؛ فلقد « كان يعلِّم ويُودِع تعاليمه مجموعة من التَّلاميذ أهَّلهم بكافَّة الطرق لحمل رسالته »[٦] كما أنه «كان يعلمهم ليس فقط بالكلمة ولكن بالعمل حتى يعمِّق هذه التعاليم فيهم»[٧] .

وفي التفسير التطبيقي لكتاب النصارى المقدس: «علَّم يسوع الشعب من خلال عظاته وتشبيهاته وأمثاله وفيها أظهر المكونات الحقيقية للإيمان وكيف نحترس من الحياة العديمة الثمر ومن حياة الرياء »[٨] .

---

(١) إنجيل يوحنا ١/١٥.

(٢) إنجيل متى ٢٣/ ٣٧.

(٣) المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل – ص ١٦١– السعودي المالكي– تحقيق رمضان الصفناوي البدري – ط١ دار الحديث بالقاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٤) الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل – ص ٦٧– أبو حامد الغزالي – ط المكتبة العصرية – بيروت – دون تاريخ .

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق – ص١١– عبد الرحمن الباجة جي زادة – تصحيح ومراجعة عبد المنعم فرج درويش – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – مطابع البيان التجارية – دبي.

(٦) مدخل إلى العهد الجديد– ص ٧٦– صادر عن دار الثقافة المسيحية بالقاهرة – ط دار الجيل – دون تاريخ.

(٧) مدخل إلى العهد الجديد ص ٨٤– سابق.

(٨) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس– ص ١٨٦٢– مجموعة من المتخصصين – شركة ماستر ميديا – القاهرة – مصر – دون تاريخ.

وبناء على الاقتباسات السالفة من كتاب المسلمين والنصارى على سواء يتبين أن المسيح –عليه السلام– قد أرسل معلما وهاديا وقد علَّم ما أوحاه الله إليه ودعا إليه بلسانه وهديه ونافح عنه وتحمَّل الأذى في سبيله وهكذا كان كل مرسل من رسال الله عليهم صلوات الله وسلامه فلا فرق إذن بين رسول ورسول ولا بين رسالة ورسالة.

ثالثا : الواقع الاجتماعي والديني لقوم المسيحعليه السلام يكذب رؤية المؤلف لمهمته.

وإذا كانت كل رسالة تعالج الواقع الإيماني والاجتماعي لمن نزلت فيهم فإن إنعام النظر في هذا الواقع لقوم المسيح–عليه السلام– يظهر قوما يرزحون تحت نير الاحتلال الروماني ويتطلعون إلى المنقذ الذي سيخلصهم من ظلم الرومان(١)، ويعانون من فساد الكهنة ورجال الدين، كما يعانون من غلبة التفكير المادي على سلوكهم، فجاءت رسالة المسيح–عليه السلام– لمعالجة هذا الواقع الأليم، فأمرهم بالصبر على ظلم القياصرة(٢)، وانصرف لتجديد الإيمان وتقويم الأخلاق، وشفاء الجانب الروحي المريض عند الإسرائيليين(٣) وهاجم فساد رجال الدين بكل ما أوتي من قوة(٤) فرأوا فيه خطرا عليهم ودبروا له مكيدة توقعه في قبضة الرومان فنجاه الله تعالى منها .

هذا ما تحكيه أحداث سيرته بكل وضوح ولم يكن الإسرائيليون مشغولين بالقضايا التي شغل بها المؤلف نفسه مثل كيفية خلق آدم–عليه السلام– ولا بعلاقته مع الشيطان، ولا بشقائه وآلامه بعد مخالفته لأمر الله ، فقد كانوا يصدقون بهذا لأن كتبهم قد حكته ولم يكونوا يتشككون فيه حتى يتطلب الأمر إرسال نبي

---

(١) يقول صاحب كتاب تاريخ الفكر المسيحي :« عندما بدأ المسيح في الخدمة كان معظم الشعب اليهودي ينتظر بفارغ الصبر ظهور المسيا النبي كما أن السلطات الرومانية كانت تعتبر أن كل حركة مسيانية حركة معادية للسلطات الرومانية والامبراطورية كلها». تاريخ الفكر المسيحي – الدكتور القس حنا جرجس الخضري– ج١ ص ٢١٦– نشر دار الثقافة – دون تاريخ. ويقول ول ديورانت عن المسيح : " وكان الهواء الذي يتنفسه مشحونا بالحماسة الدينية ، وكان آلاف من اليهود ينتظرون على أحر من الجمر مجيء منقذ إسرائيل " قصة الحضارة المجلد السادس الجزء الحادي عشر ص ٢١٥ ترجمة محمد بدران ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

(٢) يقول ول ديورانت إن ثمة شواهد تدل على أن المسيح لم يتجه لمحاربة الدولة الرومانية " منها أن المسيح قد اتخذ متَّى صديقا له ، ومتَّى هو الذي ظل كما كان عاملا من قبل الرومان ، ومنها أنه لم يطعن قط على الحكومة المدنية ولم يكن له فيما نعلم نصيب في الحركة اليهودية التي تهدف إلى الحرية القومية ، وأنه كان ينصح بالكياسة البعيدة أشد البعد عن الثورة السياسية . وقد نصح الفريسيين أن يعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ". قصة الحضارة المجلد السادس الجزء الحادي عشر ص ٢٢٦، ٢٢٧. ويقول شارل جنيبر : " كان عيسى يتحدث كثيرا عن العدل ، وعن السلام ، وعن شوق النفس للوصول إلى سماء الأبوة، كما كان يتحدث عن التوكل والصبر ... ولم يصرح قط بوجوب الثورة " المسيحية نشأتها وتطورها ص ٥٧ – ترجمة الإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود ط دار المعارف –٢٠٠٨م.، ويقول العقاد : " منذ الخطوة الأولى التي خطاها السيد المسيح في التبشير برسالته أخذ على نفسه أن يعتزل السلطة ويتنحى عن ميدانها فلا يتصدى لها بإبطال أو بإنقاذ ؛ لا يبدلها ولا يدعي لنفسه ولايتها " حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث – ص ١٠٠– عباس محمود العقاد – ط نهضة مصر ٢٠٠٥م.

(٣) يبدو هذا واضحا في الموعظة التي القاها على الجبل والتي رواها متى في الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيله . وفيها يدعو إلى التسامح وعدم مقاومة الشر وينهى عن الرياء في العبادة والبخل بالمال ويأمر بالزهد في متاع الدنيا .

(٤) من ادلة ذلك ما نسب إليه في إنجيل متى الأصحاح الثالث والعشرون من الفقرة الثالثة عشرة :" لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم ...حتى الفقرة التاسعة والثلاثين وكلها تقريع لهم على فسادهم .

يعيد تمثيل هذه المشاهد وهو صامت وإن تكلم فبالرمز ليترك لهم استخراج الدروس والعبر بعد ذلك. إنَّ تصوُّر الأمر على النحو الذي يعرضه المؤلف لا سند له من السياق التاريخي لزمن المسيح عليه السلام.

وخلاصة القول أنه : ليس هناك فرق بين رسالة المسيح-عليه السلام- ورسالة المرسلين جميعا من حيث موضوعها ومن حيث تكليفه ببلاغها بلاغا مبينا، فكلهم - عليهم صلاة الله وسلامه- قد بلغ رسالته وجهر بها كما أمره الله تعالى.

المطلب الثاني

آثار فهم المؤلف لدور المسيح في الرسالة على بعض القضايا المتعلقة بسيرته

عرض ونقد

أولا: موقف المسيح عليه السلام من الشيطان.

روت التوراة ما حدث لأبي البشرية آدم –عليه السلام– من تكليف الله –عز وجل– له أن يسكن جنة عدن، وألاَّ يأكل من شجرة بعينِها، وتُنهي القصة بأن آدم وزوجه –عليهما السلام– قد أغوتهما الحيَّةُ فأكلا من الشجرة وأُهبطا إلى الأرض(١).

وتروي الأناجيل الثلاثة متَّى(٢)، ومرقس(٣)، ولوقا(٤) أن الشيطان أراد أن يختبر المسيح –عليه السلام– فأخذه في رحلة يريد إغواءه ولكنَّ المسيح –عليه السلام– سَلِم من خداعه ، ويرى المؤلف أن هذه القصة تمثِّل – عمليًا– ما حدث لآدم أبي البشر– عليه السلام– مع الشيطان، وبهذا تنتقل القصة من باب الخبر الذي جاءت به التوراة إلى باب المشاهدة، أي من باب الشك الغيبي الذي جاء به كلُّ الأنبياء– في زعم المؤلف– إلى باب اليقين المشاهد الذي جاء به المسيح .يقول:

«إذن فواقعة ملاحقة الشيطان للسيِّد المسيح بالرِّسالة لا تخصُّ السيِّد المسيح وحده فحسب بل تخصُّ آدم بصفة خاصة والبشر بصفة عامة والسيد المسيح في الواقعة إنما هو (مثلا [هكذا] وآية للناس) يعلن لهم بصورة مثلية مع ما للمثلية من أدوات الرمز والتشبيه حقيقةً واقعة لم يرها أحد لأنها حدثت في السماء منذ بداية الخليقة ومن ثم كانت حقيقة غيبية، صحيح أنها جاءت بكل الرسالات السماوية وعلى لسان الرسل والأنبياء؛ ولكنها ظلت غيبيَّة ومن الناس من صدَّقها وآمن بها، ومن الناس من لم يصدقها ولم يؤمن بها، ولأن الرسالات السماوية موجهة أساسا إلى البشر فإن الواقعة كما صوَّرها الحدث والآية موجهة إلى البشر ليُعملوا الفكر ويصلوا إلى المغزى الذي تتضمنه الرسالة»(٥).

ومن الملاحظ هنا أن المؤلِّف يتحدَّث عن زمن المسيح–عليه السلام– وما قبله ولذلك فإنه لا معنى للتعميم في قوله إن القصة نزلت في كل الرسالات السماوية – لا معنى لهذا التعميم لأن القرآن الكريم لم يكن قد نزل، فالمنطقي هنا أن يأتي المسيح ليكشف عما كان قد نزل من قبله (ما كان خافيا منذ إنشاء العالم) – كما يحلو للمؤلف أن يعبر– وليس ما نزل بعده (٦).

والمؤلف هنا يربط بين موقفين :

---

(١) سفر التكوين الأصحاح الثاني من الفقرة الخامسة عشرة حتى آخره والإصحاح الثالث كاملا.

(٢)إنجيل متى .الأصحاح الرابع ١–١١.

(٣)إنجيل مرقس. الأصحاح الأول١٢.

(٤)إنجيل لوقا الأصحاح الرابع ١–١٣.ولم يذكرها يوحنا.

(٥) الإنسان بين آدم والمسيح ص ١٣٤.

(٦)المؤلف مضطر لهذا التعميم لتستقيم مقالته كما سيتضح من مناقشتها بعد قليل.

الموقف الأول : هو موقف آدم –عليه السلام– من الشيطان ويقول إن هذا الموقف نُقل عن طريق الرواية أي رواية الأنبياء عن الوحي الذي نزل عليهم وكان خبرا من الغيب فمن الناس من صدَّقه ومنهم من لم يَصدِّقه.

الموقف الثاني : موقف المسيح –عليه السلام–من الشيطان ويزعم أن هذا الموقف إحياءٌ عملي للموقف الأول ليُخرِجَه من نطاق الغيب إلى نطاق الشهادة.

وبهذا تمتاز رسالة المسيح–عليه السلام–عن كل الرسالات الأخرى السابقة عليها وكذلك الرسالة الخاتمة لأنها – في زعم المؤلف– من النوع الإخباري المباشر وليست من نوع رسالة المسيح التي أحْيت عمليًّا ما جاءت به الرسالات الإخبارية.

ثانيا: مناقشة هذه القضية.

وذلك اعتمادا على المحاور الآتية:

المحور الأول : أصل القصة في ضوء القرآن الكريم.

لقد قرر علماء المسلمين أن ما خالف القرآن الكريم من روايات أهل الكتاب فهو غير صحيح عند المسلمين[١]. ورواية سفر التكوين عن آدم وحواء –عليهما السلام– في قصَّة الأكل من الشجرة مما خالفت القرآن الكريم – كما سيتضح بعد قليل– فكان الأولى بالمؤلف ألاَّ يعتمد عليها، وأما رواية الأناجيل الثلاثة عن تجريب المسيح للشيطان فلم تُذكر في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا يمكن التوقُّف فيها بلا تصديق ولا تكذيب لأنها تخالف عقيدة المسلمين في المرسلين –عليهم السلام– وقد نقضها الإمامُ ابن حزم الظاهري –رحمه الله– مشيرا إلى أنها " تُظهر المسيح –عليه السلام– تحت إمرة الشيطان يذهب به، ويجيء كيف شاء، وهذا ليس في إمكان الشيطان، إنما مُكنة الشيطان أن يوسوس فقط على ما هو معهود مع الأنبياء ومع غيرهم من الناس، أمَّا أن يتسلّط على نبيٍّ ويقوده ويأمره ويختبره فهذا غريب على العقيدة الإسلامية"[٢].

ومن هنا فقد وقع المؤلف المسلم في الخطأ عندما اعتمد على هاتين الروايتين في تفضيل رسالة المسيح–عليه السلام–عن كل الرسالات السابقة واللاحقة أي رسالة خاتم المرسلين سيدنا محمدﷺ.

المحور الثاني:. أصل القصة في العهد القديم يبطِلُ تصوُّر المؤلف.

وللحكم على دعوى المؤلف فلا بد من البحث عن محتوى التوراة في قصَّة آدم–عليه السلام– وسبب خروجه من الجنة ، ومقارنتها بما روته الأناجيل الثلاثة لكى يتضح هل كان المسيح يعيد إحياء القصة بطريقة عملية أم لا؟.

---

(١) يقول الإمام الحافظ ابن كثير إن هذه الروايات " على ثلاثة أقسام (أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالف (والثالث) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه " تفسير القرآن العظيم – ص ٤ – نشر دار الحديث ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

(٢) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل –ج١/ ٢٦٤– ابن حزم الأندلسي – المكتبة التوفيقية – تحقيق أحمد السيد علي – دون تاريخ.

وسبب البحث في محتوى التوراة هو أنها هي التي روت القصة قبل ظهور المسيح؛ ولا يُعقل أن يُبحث عن القصِّة فيما نزل بعده ، لأن المسيح– كما يزعم المؤلف – جاء ليعلن (ما كان) خافيا.

يقيم المؤلف تصوُّره على أساس أن آدم–عليه السلام– وقع تحت تأثير الشيطان فأكل من الشجرة فوقع في الخطيئة وسقط في الاختبار، وأن المسيح–عليه السلام– يعيد تمثيل المشهد ليعلِّم الانسان كيف ينتصر على الشيطان.

والحق أن خبر التوراة الذي يزعم المؤلف أن المسيح جاء ليعيد إحياءه عمليا يبرئ آدم–عليه السلام– ولا يفيد – صراحة– أن شيطانا وسوس له بل حمَّل الحيَّة أمر التحريض على الأكل من الشجرة – في رواية التَّوراة العِبرانية– أو الثُّعبان– في رواية التوراة السامريَّة– وحمَّل أمر الاستجابة على امرأة آدم–عليه السلام– أما آدم فيصوِّره مشهد التوراة على أنه كان ضحيَّة لامرأتِه وللحيَّة.

جاء في سفر التكوين: " وكانت الحيَّةُ أحْيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله . فقالت للمرأة: أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية النظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل" (١).

ويشير كاتب سفر التكوين أن آدم–عليه السلام– قد أنحى باللائمة على امرأته عندما عاتبه ربُّه في الأكل من الشجرة. يقول: «فنادى الربُّ الإله آدم وقال أين أنت ؟. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيتُ لأني عريان فاختبأت . فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»(٢).

كما أن امرأة آدم بدورها قد ألقت باللوم على الحية يقول كاتب التكوين: "فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلتِ. فقالت المرأة الحيَّة غرَّتني فأكلت" (٣).

وبناء على هذا فقد " حُكم عليها بأن تمشي على بطنها وتأكل التراب وتعيش في حالة من العداوة الدائمة مع الإنسان"(١). وكما هو واضح فإن الشيطان لم يكن له ذكر في نص التوراة، لكن ذكره

(١) سفر التكوين الأصحاح الثالث ١–٦. وتتفق التوراة السامرية مع التوراة العبرانية في مضمون القصة مع تغيير بعض ألفاظها فقد جاء فيها : " والثعبان كان أخبث من كل وحشية الصحراء التي صنع القديم الله فقال للإمرأة [هكذا] حقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنان؟ فقالت الإمرأة للثعبان من شجر الجنان نأكل ومن ثمرة هذه الشجرة التي وفي وسط الجنان قال الله لا تأكلا منها كي لا تموتا. فقال الثعبان للإمراة لا موتا تموتان بل علم الله أن في يوم أكلكما منها تنجلي بصيرتكما وتصيران كالملائكة عارفي الخير والشر ونظرت الإمرأة أن طيبة الشجرة وأنها شهية للنظر وأوفق الشجر للإرشاد فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت أيضا لرجلها فأكل فانجلت بصيرة كليهما وعلما أنْ عاريان هما فخرطا لهما ورق تين وصنع لهما مآزر".التوراة السامرية سفر التكوين الإصحاح الثالث ١–٧ – ص ٢٦– ترجمة الكاهن السمري ابو الحسن إسحاق الصوري نقلها وعرف بها الدكتور احمد حجازي السقا – مكتبة زهران – دون تاريخ .

(٢) تكوين ٣/ ١٧–١٩.

(٣) تكوين ٣/١٣.

كطرف في القضية جاء من قبل الشراح اليهود ، فيروي موسى بن ميمون(٢)عن كتَّاب التلمود(٣) أن الثعبان كان مثلَ جمل وأن راكبه هو الذي أغوى حواء وهذا الراكب هو الشيطان ويسمى **(سمالا)**(٤) .

كما أن موسى بن ميمون أيضا يبرئ آدم ويحمل الأمر برمَّته إلى حواء مشيرا إلى أنها هي السبب في عداوة نسل الحية لذرية آدم. يقول:

" ومما يجب أن تعلَمه وتتنبَّه عليه كون الثعبان لم يباشر آدم بوجه ولا كلَّمه إنما كانت محاورته ومباشرته لحواء وبتوسط حواء تأذَّى آدم وأهلكه الثعبان والعداوة الكاملة إنما هي حاصلة بين آدم والثعبان وحواء وبين ذريته وذريتها ولا شك أن ذريتها هي ذرية آدم " (٥) .

وخلاصة الأمر أن التوراة تحمِّل حواء– عليها السلام– ذنب إغواء آدم –عليه السلام– وتحمل الحية ذنب إغواء حواء، وتعاقب الحية على هذه الفعلة، أما دور الشيطان في هذه القصة فقد كان مصدره كُتَّاب التلمود اليهودي الذي أُلِّف بعد رفع المسيح –عليه السلام– ولا يتفق مع المنطق السليم أن يقال إن المسيح–عليه السلام– جاء ليُحيي التأويلات التلمودية التي ألفت في القرنين الأول والثاني بعد ميلاده عليه السلام.

إضافة إلى هذا فإن النظر في رواية الإنجيل تتضمن مزيدا من التأكيد على خطأ المؤلف في محاولة إثبات التشابه بين القصتين . جاء في إنجيل متى:

« ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَل، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:

---

(١)المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ص ٤٨٨ الخوري بولس الفغالي ط المكتبة البولسية لبنان ٢٠٠٣م. والكاتب يشير إلى ما جاء في سفر التكوين :(فقال الرب الإله للحيَّة لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية .على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه) تكوين ١٤/٣.

(٢) موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق أبو عمران القرطبي ، طبيب فيلسوف يهودي ولد في قرطبة سنة ٥٢٩هـ ١١٣٥م وتعلم فيها وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس وتظاهر بالإسلام ودخل مصر وارتد إلى اليهودية وصار رئيسا روحيا لليهود كما كان طبيبا في بلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي من تصانيفه : دلالة الحائرين ، الفصول في الطب . توفي سنة ٦٠١هـ ١٢٠٤م . ينظر : الأعلام – خير الدين الزركلي – ٣٢٩/٧– ط ١٥ دار العلم للملايين – بيروت – ٢٠٠٢م.

(٣) التلمود : أي التعاليم – وضعه أحبار اليهود المنتمين إلى فرقة الفريسيين ، ويتألف من ثلاثة وستين سفرا وضعت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد وأطلق عليها اسم (المشنا) بمعنى المثنى أو المكرر أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة ، ثم شرحت هذه المشنا فيما بعد وأطلق على شروحها اسم (الجمارا) أي الشرح أو التعليق وألفت الجمارا في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد. ينظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام ص ٢٤ – د / علي عبد الواحد وافي – ط ١٠ – دار نهضة مصر ٢٠١١م

(٤) دلالة الحائرين ٣٨٣/٢. موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي ترجمة د حسين آتاي – نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة – دون تاريخ.

(٥) دلالة الحائرين ٣٨٤/٢– ويتوافق الكتاب المسيحيون مع اليهود في ان للشيطان دورا في إغواء حواء حيث كان في بطن الحية . جاء في قاموس الكتاب المقدس: « ولم تبصر حواء شيئا أكثر من حية لكن الشيطان كان في هذه الحية. قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٣. – نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين – صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى – ط١٥ بيروت لبنان ٢٠١١م.

«مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ." [(١)].

ومن الواضح هنا في الرواية الإنجيلية أن الشيطان كان حاضرا بشخصه بخلاف رواية سفر التكوين عن قصة آدم -عليه السلام- التي لم تصرح بوجود شيطان بل صرحت بحضور الحيَّة وألجأت كُتاب التلمود في مرحلة ما بعد المسيح -عليه السلام- إلى إلحاق الشيطان بالقصة فصوروه راكبا على ظهر الحية وضخَّموا الحية كجمل ليستقيم له ركوبها!.

ومن الواضح أيضا أن الشيطان في رواية الإنجيل كان يتجه بإغوائه مباشرة إلى المسيح-عليه السلام-بخلاف رواية التكوين التي تقوم فيها الحية بإغواء حواء ثم تقوم حواء بإغواء آدم عليه السلام.

ومن الواضح أيضا أن إغواء الحية في رواية التوراة إنما كان في الأكل من الشجرة أما رواية الإنجيل فكان اختبار الشيطان للمسيح فيما يخالف تعاليم التوراة التي أنزلت على موسى-عليه السلام- فكان المسيح - عليه السلام - يردُّ على الشيطان بما علَّمه الله من الكتاب.

كما أن نهايتي القصتين مختلفتان، ففي رواية سفر التكوين تُعاقب الحية بالزحف على بطنها وأكل التراب وسلطان الإنسان عليها ليسحق نسلها . وتعاقب حواء بسيادة آدم عليها وبآلام الحمل، وأوجاع الولادة وتسليط الحية على ذريتها، ويعاقب آدم بالشقاء في الأرض بعد النعيم في الجنة أما في الإنجيل فلم يُعاقب الشيطان إنما ترك المسيحَ-عليه السلام- بعد أن يئس منه، وبناء عليه فلا وجه للشبه بين القصتين -على افتراض صحتهما جدلا فحسب - فلا يصحُّ دعوى قيام المسيح بإعادة تمثيل القصة عمليا لتنتقل من دائرة الخبر لدائرة العيان.

<u>المحور الثالث: المؤلف يعتمد على تصوير القرآن الكريم للقصة ويزعم أن المسيح جاء ليعيد تمثيلها!</u>

ثبت إذن أن الخافي من قصص التوراة الذي جاء المسيح -عليه السلام- ليعلنه ، والغيب الذي جاء ليظهره، والشك الذي جاء ليجعله يقينا- ثبت أنه يختلف تماما عن ما أظهره المسيح-عليه السلام- وما حدث له مع الشيطان - إذا سُلِّم جدلا بصحة القصة الإنجيلية- ولكن من العجيب أن يعتمد المؤلف على القصة التي أنزلها الله - عز وجل - في القرآن الكريم عن آدم ووسوسة الشيطان له مباشرة - ليضاهيها بحوار الشيطان مع المسيح كما وردت به الأناجيل ثم يزعم أن المسيح جاء ليمثل عمليا ما كان خافيا منذ إنشاء العالم!.

إن قصة إغواء الشيطان لآدم -عليه السلام- قد جاء بها القرآن الكريم وهي تجعل الشيطان طرفا أساسيا في القصة وتحمل آدم وزوجَه المسئولية معا في استجابتهما لوسوسة الشيطان وهو ما يختلف كل الاختلاف

---

(١) متى الأصحاح الرابع ١-١١. وفي إنجيل مرقس الأصحاح الأول١٢، ١٣..وفي إنجيل لوقا الأصحاح الرابع ١-١٣.ولم يذكرها يوحنا.

عن رواية التوراة التي تُحمِّل حواء وزر الاستجابة وتسند الوسوسة لحية تُعاقب بعد ذلك بسحق بني حواء لنسلها وتعاقب حواءُ بسحقِ الحية لذريتها .

قال تعالى :﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُو نَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَا عٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[(١)]

وهذه القصة هي الأنسب لتصور المؤلف وليست قصة التوراة ويبدو أنه اعتمد على القرآن في تصوره، ومن هنا يظهر اضطرابه وتخبُّطه في تقرير ما يريده، فهو يزعم أن المسيح جاء ليعلن بالتمثيل الحي ما كان مرويا عن طريق السماع منذ إنشاء العالم إلى زمنه، ولكن القرآن الكريم بداهة نزل بعد المسيح بستة قرون تقريبا فكيف يعتمد المؤلف فيما ذهب إليه على القرآن الكريم؟.

إن ما يزعمه المؤلف إن هو إلا ظنون وانطباعات ذاتية وتخيلات لا يصلها بالعلم نسب قريب ولا بعيد.

<u>المحور الرابع: دعوى الرسالة العملية باطل في زمن المسيح وبعده.</u>

والسؤال هنا : هل قام المسيح –عليه السلام– بتكرار ما حدث بين آدم والشيطان أمام الأمَّة التي أُرسل إليها ليكون هناك فرق بين دور المسيح في الرسالة وبين دور غيره من المرسلين؟.

أقول إن حدوث هذا الفرق يستلزم تكرار هذا الحدث على مرأى من المدعوين ليشاهدوه ولا يأخذوه فحسب عن طريق السماع كما حدث في قصة آدم– عليه السلام– ولكن لم تذكر الأناجيل أن أحدا رأى الشيطان يغوي المسيح، ولم تذكر أيضا أن المسيح قصَّ القصَّة على تلاميذه ليرووها عنه، ولكنها رُويت على أية حال، وكانت الرواية –وليست المشاهدة– مصدر المعرفة بها، فما الفرق حينئذ بينها وبين رواية آدم –عليه السلام– التي نُقلت عن طريق الرواية والسماع ؟.

تتساوى القصتان في طريقة النقل، ولا فضل لرواية التوراة على رواية الإنجيل من حيث إعلانُها، فليس للمؤلف إذن أن يزعم أن المسيح جاء ليعيد تمثيل القصة أمام الإنسان ويُظهر ما كان مخفيا منذ كان العالم.

وإذا فُرض جدلا أن المسيح جاء ليعيد القصة تمثيلا أمام المشاهدين، فإن القصة برمَّتها –بمن مثَّلها ومن شاهدها قد صارت تاريخا، فالإنسانُ الذي لم يحضر هذا المشهد في زمن المسيح–عليه السلام– والإنسانُ

(١) سورة الأعراف. الآيات من ١٩ إلى ٢٥.

الذي وُلد بعد المسيح–عليه السلام– إن علما بهذه القصة فقد علماها سماعا، فلا معنى إذن لزعم أن القصة المزعومة للمسيح مع الشيطان غرضها تحويل الخبر التاريخي إلى مشهد يقيني وبرهان مادي لا يمكن تكذيبه بإعادة التمثيل الحيّ لما كان بين آدم–عليه السلام– والشيطان .

المحور الرابع : موضوع القصة بعيد عن الواقع الديني لبني إسرائيل.

ولا بد من إعادة القول هنا بأن القصة كلها كانت بعيدة عن الواقع الديني للأمة التي أرسل إليها المسيح –عليه السلام– في هذا الوقت، فلم يكن من هم بني إسرائيل أن يتذكروا عداوة الشيطان للإنسان وإنما كان همهم الأكبر في المسيح الذي ينتظرونه، المسيح الذي سيخلصهم من ظلم الاحتلال الروماني فلما جاءهم بمبادئ شاملة لإصلاحهم دينيا وهاجم المنافقين من أحبارهم وكهانهم أغروا به الدولة الرومانية ليزيحوه من طريقهم. وهذا واضح من روايات الأناجيل في سيرة المسيحعليه السلام.

ومن هنا يمكن القول إن المؤلف يخرج رسالة المسيح من السياق الدعوي الذي سارت فيه إلى سياق آخر ويجعله يتحدث كما لوكان واعظا كنسيا في عصرنا يحذر أتباعه من الشيطان ويريهم كيف انتصر المسيح عليه.

ثانيا : صلب المسيح وعذابه في زعم المؤلف.

وكان تفسير المؤلف للصلب المزعوم للمسيح -عليه السلام- من آثار فهمه لدور المسيح -عليه السلام- في الرسالة وهو أن يمثل المسيح للإنسان عمليا ما حدث لآدم - عليه السلام- في بدء تاريخ البشرية، وبهذا يرى إنسان زمن المسيح-عليه السلام- ومن بعده ما حدث لآدم في سيرة المسيح ويبقى على هذا الإنسان أن يفهم الرمز ويأخذ العظة.

والحدث الذي سيمثله المسيح -عليه السلام- عمليا هذه المرَّة هو حدث نزول آدم -عليه السلام- إلى الأرض وخروجه من الجنة بسبب انخداعه بوسوسة الشيطان، وسيكون المشهد الرئيس في هذه القصة هو شقاء آدم في الأرض ومعاناته بسبب معصيته، وتمثيل المسيح-عليه السلام- لها سيكون عن طريق تسليم نفسه لأتباع الشيطان (قوى الشر من اليهود والرومان) ليعذِّبوه ويصلبوه، والعبرة من هذا: أن من سلَّم نفسه للشيطان وأتباعه، ذاق مثل هذا العذاب. وبهذا يكون المسيح-عليه السلام- قد أعاد - عمليًّا - شيئا مما لم يعرفه المؤمنون بهذه القصة إلا عن طريق خبر الوحي وهي درجة أقل في التصديق من درجة اليقين المشاهد الذي قام به المسيح -عليه السلام- كما يزعم المؤلف .

يقول:

« بذل ابنُ الإنسان جسده من أجل الإنسان وتم سفكُ دمِه من أجل الإنسان أي من أجل أن يرى فيه الإنسان المثل والآية فتصل بذلك إليهم المعرفة الكاملة بواقعة استسلام آدم وأبناء آدم للشيطان وأن هذا الاستسلام هو المصدر الحقيقي لعذابهم بل ولموتهم كذلك وأن الشيطان هو المتسبب في هذه المأساة للإنسان وعندئذ يتخذوه عدوا بينا بوصفه مصدر كل ما هم فيه من عذاب وآلام ونهاية مفجعة لهم جميعا»[١].

ويُفهم من هذا أن المسيح-عليه السلام- كُلِّف بهذا التكليف أي بتسليم نفسه وتحمّلِه للصَّلب والعذاب والموت ليعطي المغزى الذي أشار إليه المؤلف، وبناء عليه يزعم أن المسيح-عليه السلام- لم يقاوم من قبضوا عليه وعذبوه وإنما استسلم لهم . يقول المؤلف :

" وهو في كل هذا لا يُبدي أية مقاومة حيث بدا مستسلماً تماماً لكل أنواع العذاب ومتحمِّلا لكل الآلام الجسدية والنفسية وذلك على خلاف عادته وطبيعته في التعامل مع الأشرار فقد سبق وطهَّر المعبد بأورشليم من لصوص التجارة وألقى بأدواتهم ومتاعهم خارج المعبد "[٢]، والعبرة من ذلك عند المؤلف أن:

---

(١) الإنسان بين آدم والمسيح ص ١٥٠.

(٢) السابق ص ١٥٣، ١٥٤. وهو يشير إلى ما جاء في متى :«١٢وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ ١٣وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ» متى ١٢/٢١، ١٣.

" استسلام الإنسان للشيطان وقوى الشر هو مصدر العذاب والآلام والشقاء والهوان والمهانة التي يلقاها كل إنسان في مسيرة حياته منذ بداية الخليقة وإلى أن تقوم الساعة"[١].

ولكن هذه الرؤية تعني التصديق بوقوع الصلب على شخص المسيح –عليه السلام– وهذا يؤدي بالمؤلف إلى الاصطدام بما ورد في القرآن الكريم من نفي صلب المسيح – عليه السلام– فماذا يفعل المؤلف الذي قدم نفسه كمؤلف مسلم (محمد حسن سالم) ؟ .

لم يجد المؤلف المسلم مناصا من محاولة التوفيق بين رؤيته، وبين ما ورد في القرآن الكريم في هذا الشأن فعندما تعرض لقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٢] قام بصرفها عن ظاهرها؛ حيث زعم أن المسيح–عليه السلام– لم يكن مصلوبا بصفته هو أي بصفته الشخصية(النبي المرسل من عند الله)، وإنما صُلب بوصفه مُمَثِّلا للإنسان عموما. والمغزى من ذلك أن يرمز للإنسانيَّة كلِّها بأنهم إذا سلَّموا أنفسهم للشر والشيطان سيصيبهم مثلُ ما أصاب المسيح–عليه السلام– من العذاب والآلام . ويزعم المؤلف أن قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بعد قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ يُعتبر تكرارا له مغزاه ، وهو أن القتل الذي وقع على المسيح لم يكن قتلا يقينيا لأنه لم يقتل بوصفه المسيح وإنما هو قَتْل حُكمي؛ لأنه قتل بوصفه إنسانا يقول:

« فالواقعة إذن تشبيهيَّة كان السيّد المسيح فيها يشبِه واقع الإنسان وكان رمزا للإنسان ومثلا وآية له يرى من خلالها الإنسان نفسه ثم ختم القرآن الآيات بقوله سبحانه وتعالى :﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ومعلوم أن القرآن ليس فيه إطناب أو تكرار إلا لحكمة بالغة وتكرار قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ تعني أن الذي قتل يقينا لم يكن السيد المسيح يقينا بل كان الإنسان هو الذي قتل أما السيد المسيح فقد أماته الرب ورفعه إليه بعد أن أدَّى الجانب الأعظم من الرسالة بوصفه الإنسان وهذا يعني أن القتل حكمي وليس يقين[هكذا]»[٣] .

وهكذا يعتقد المؤلف أنه قد وَفَّق بين طرحه للقضية المزعومة عن صلب المسيح –عليه السلام– في الأناجيل وبين ما ورد في القرآن الكريم بشأنها هكذا: المسيح صُلب وتألم راضيا كرمز للإنسان، والقرآن نفى صلبه بصفته الذاتية لأنه صُلب بصفة رمزية .

مثارا النقد:

المثار الأول: أن المسيح–عليه السلام– أسلم نفسه للصلب والعذاب إحياء لقصة شقاء آدم–عليه السلام– عندما أُنزل إلى الأرض.

---

(١) السابق ص ١٥٤.

(٢) سورة النساء الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٣) الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٣٩. ومن الملاحظ في هذا النص أن المكرر ليس قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ كما يزعم المؤلف بل المكرر نفي القتل المذكور في أول الآية فقط في قوله تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ وفي ختام الآية : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

المثار الثاني: فهم المؤلف لآية نفي صلب المسيح – عليه السلام – في القرآن الكريم.
وفيما يأتي مناقشة هذين المثارين.

مناقشة المثار الأول: وهو أن المسيح–عليه السلام– أسلم نفسه للصلب والعذاب إحياء لقصة شقاء آدم–عليه السلام– عندما أُنزل إلى الأرض :

إنَّ زعم المؤلف أن المسيح سلّم نفسه للشيطان (أي قوى الشر التي صلبته في زعم المؤلف) ليحذر أتباعه من تسليم أنفسهم للشيطان، يلزم منه أن المسيح قام بذلك بإرادته ؛ لتتم – حسب تصور المؤلف– رسالته لكن بمراجعة نصوص الأناجيل يتبيَّنُ خطأ هذه النظرة لما يأتي:

أولا: أن المسيح–عليه السلام– توعَّدَ من يخونُه ويدلُّ أعداءه عليه، فإذا كان مفروضا أن يُسلِّم نفسه لـ(قوى الشر) –كما عبَّر المؤلف– ليذوق العذاب ولتكون العبرة: (أن من يسلِّم نفسه للشر والشيطان سيلقى مثل عذاب المسيح) – إذا افتُرض أن هذه مهمتُه فقد كان من واجبه ألا يتوعَّد من يدلُّ عليه ليحقق هذه المهمة بل الأولى أن يشكره عليها. جاء في إنجيل متَّى:

" ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم : إن واحدا منكم يسلِّمُني. فحزِنوا جدًّا وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب ؟ فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلِّمني. إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوبٌ عنه، ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسلَّم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يُولد فأجاب يهوذا مسلِّمُه وقال هل أنا هو يا سيدي؟ قال له أنت قلت" [(١)].

ويدلُّ هذا النص على أن المسيح–عليه السلام– يتنبَّأ لتلاميذه أن واحدا منهم سيرتكب جرما في حق نبيه وأنهم حزنوا إذ علموا ذلك، وأصاب كلَّ واحد منهم القلقُ على نفسه خشية أن يكون هو المقصود، كما أن المسيح –عليه السلام– بيَّن مقدار الذنب الذي سيقع فيه هذا الخائن، وبيَّن أنه كان خيرا له لو لم يُخلق نظرا لما سيحيق به من الويل تجاه فعلته، وليس هذا الحديث بحديث من عزم أن يسلِّم نفسه لأعدائه وإلا كان مخادعا لتلاميذه، فالحق إذن أن المسيح–عليه السلام– لم يكن يرجو أن يحدث له مكروه على خلاف دعوى المؤلف.

ثانيا: يُنسب للمسيح –عليه السلام– أنه كان يدعو الله–تعالى– أن ينجيه من أعدائه فإذا كانت مهمته أن يُصلب ليعطى العبرة التي يزعمها المؤلف فلماذا يدعو لنفسه بالنجاة ؟.

جاء في إنجيلي متى ولوقا :

" حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضَيْعةٍ يقال لها جثْسَيْماني[(٢)] وقال للتلاميذ اجلسوا هنا حتى أمضي وأُصلِّي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زَبْدِي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جدا حتى

---

(١) إنجيل متى ٢٦/٢٠–٢٤.

(٢) جثسيماني : بستان يقع على جبل الزيتون . معجم أسماء الأعلام في الكتاب المقدس – ص ١٤٤ – سعيد مرقص – ط١ – ٢٠٠٦م.

الموت امكثوا هنا واسهروا معي، ثم تقدَّم قليلا وخرَّ على وجهه وكان يصلِّي قائلا: يا أبتاه إن أمكن فلتعبُر عني هذه الكأسُ ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت. ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فمضى أيضا ثانية وصلَّى قائلا: يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضا وصلَّى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه" (١).

وهذا النص يدل على :

أولا : أنه في حال ترقُّبه لأعدائه طلب إلى تلاميذه أن يسهروا معه لحراسته ولكنهم ناموا وهو قد عاب عليهم نومهم وتركَه وحيدا. وهذا يشير إلى أن المسيح –عليه السلام– كان يأخذ بالأسباب المادية ويحتاط طلبا للنجاة.

ثانيا : أنه تضرع إلى الله–عز وجل– ثلاث مرات أن ينجيه من أعدائه، وهذا يوضح أن شأنه –عليه السلام– شأن كلِّ نبي يتوقع الأذى من أعداء دعوته؛ فيسأل الله النجاة (٢) وهذه النصوص الواضحة تُكذِّب دعوى المؤلف.

ثالثا : أن من صُلب صرخ مناجيا ربه لم تركتني مما يعني أنه كان يريد النجاة فما سبب هذا السؤال إن كان أسلم نفسه لأتباع الشيطان كما يزعم المؤلف؟.

كما أن المصلوب نادى ربه يسأله عن سبب تركه يهلك، وهذا التساؤل تعبير عن عمل من يرجو النجاة ويتوقعها وليس سلوك من يسلم نفسه بنفسه لغرض آخر، جاء في متى ومرقس : " ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لم تركتني ؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادي إيليًا" (٣).

وخلاصة القول أن النصوص السابقة للأناجيل تؤكد أن صلْب المسيح–عليه السلام– كان ضد إرادته، وأنه لم يُسلم نفسه طواعية كما يزعم المستشار/ محمد حسن سالم، وبناء عليه فإن القول بأنه سلَّم نفسه طواعية للعذاب والموت ليمثل قصة شقاء آدم–عليه السلام– حينما سلم نفسه لأتباع الشيطان قول غير صحيح.

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٢٦ / ٣٦–٤٤،وأيضا لوقا ٢٢/ ٣٩–٤٦.

(٢) مثلا : نبي الله نوح –عليه السلام–سأل الله النجاة من عدوه ، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ سورة الشعراء الآيات ١١٧، ١١٨، ١١٩. ونبي الله لوط –عليه السلام– كذلك قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ ﴾ سورة الشعراء الآيات: ١٦٩، ١٧٠، ١٧١. والرسل عامة قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ :﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

(٣) متى ٢٦/ ٤٥–٤٧. مرقس ١٥/، ٣٣ –٣٤.

مناقشة المثار الثاني.

وأما المثار الثاني وخلاصته: أن الآية القرآنية الكريمة التي تنفي قتل المسيح–عليه السلام– وصلبه لا تعني ظاهرها في زعم المؤلف.

ويرد عليه بأن الواضح هنا أن المؤلف يقلب الحقائق الظاهرة؛ فمع أن الآية الكريمة واضحة الدلالة على نفي قتل المسيح –عليه السلام– ونفي صلبه وعلى بيان أن ثمة اشتباها وقع لمن أراد قتله وصلبه.. مع هذا فإن المؤلف يقرر أنه قُتل وأنه صُلب! ويزعم قتله وصلبه مع تغيُّر صفته، فقد قُتل بوصفه رمزا للإنسان وليس بوصفه مسيحا ويَظن المؤلف أنه بذلك قد توصل إلى معنى يحقق مراده ولا يتعارض مع الآية الكريمة. ولكن الواضح أن الوصفين سواء ومحصلتهما واحدة هي أنه قُتل وصُلب – عند المؤلف– سواء كان مسيحا أم رمزا للإنسان، والآية الكريمة تنفي قتله وتنفي صلبه بأية صفة تكون.

وهنا تواجه المؤلف مشكلة فهم أسس الاستدلال من القرآن الكريم، فثمة قواعد يجب مراعاتها عند فهم آيات القرآن الكريم ومن هذه القواعد:

أولا : أن " إدخال الكلام فيما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له " (١).

وما قبل هذه الآية يتحدث عن كذب اليهود وبهتانهم الذي بَهتوا به السيدة مريم –عليها السلام– قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾(٢) فالسياق هنا يبيّن كذب اليهود في دعواهم على مريم– عليها السلام– ثم يستطرد مبينا كذبهم في قولهم إنهم قتلوا المسيح– عليه السلام–وصلبوه وهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ، ثم يستطرد السياق بعد هذه الآية ليبين باستعمال(بل) أن الله رفعه الله ثم ختم الآية بختام يناسب فحوى السياق حيث وصف الله –تعالى– نفسه بالعزة والحكمة قال تعالى ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (٣)، ومن هنا يتضح خطأ المؤلف في فهمه للآية حيث إن فهمه لها يؤدي إلى انتزاعها من سياقها دون دليل يجب التسليم له.

ثانيا : أنه " لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه " (٤) وظاهر القرآن هو ما أفاده معناه العربي حيث نزل بلسان العرب ولغتهم قال تعالى ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٥)

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين – ص ١٢٥– د/ حسين بن علي بن حسين الحربي – ط١ دار القاسم – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٢) سورة النساء الآية : ١٥٦

(٣) سورة النساء الآية : ١٥٨.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٣٦– مرجع سابق – وقد استدل المؤلف لهذه القاعدة بقول مسلم بن يسار : " إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده " عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ١٢٧. وقول الإمام الطبري في معرض تعليله لأحد ترجيحاته في التفسير :" وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب لن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت فأولى أن تكون هي في معنى ما قبله وبعدها إذا كانت نزلت في سياق واحد" جامع البيان ٣/٣٤٤. وغيرهما من العلماء .

(٥) سورة فصلت الآية :٣.

وهذا " يقتضي لزاما أن تكون معانيه جارية على ظاهر ألفاظه التي تدل عليها عروبتُه ولا يُحاد به عن ظاهر ألفاظه العربية وإلا كان منافيا لكمال عروبته التي أخبر الله تعالى بها عنه " (١) .

والآية الكريمة تفيد أن اليهود زعموا أنهم قتلوا المسيح- عليه السلام - وصلبوه وأنهم كذبوا في هذه الدعوى فهم لم يقتلوه، ولم يصلبوه حيث لم يتحققوا منه، واتبعوا ظنهم فحسب ولم يقتلوا شكهم باليقين. هذا ما تفيده الألفاظ العربية في هذه الآية ويقويه سياق الآيات قبلها وبعدها ولا يوجد دليل واحد يلجئ إلى معنى آخر غير هذا . ولذلك فإن ادعاء المؤلف باطل.

كما أن علماء الأصول - كعلماء التفسير- يرفضون رفضا قاطعا العدول عن ظاهر النص لغيره دون قرينة ملزمة لهذا العدول، وإلاّ لاستطاع من شاء أن يحرف معاني القرآن كلها عن حقائقها وما استطاع أحد أن يقيم حجة من القرآن الكريم . يقول الإمام الرازي :

"إذا كان لفظ الآية والخبر ظاهراً في معنى فإنما يجوز لنا ترك ذلك الظاهر بدليل منفصل، وإلا لخرج الكلام عن أن يكون مفيدا، ولخرج القرآن عن أن يكون حجة" (٢) ثم قال:

"صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع "(٣) .

ويشير الإمام العراقي(٤) إلى أن من يحاول فهم النص إذا ترك المعنى الظاهر فلا بد له من دليل يُسوّغِ له هذا الترك، ويقسِّم الإمام العراقي هذا الدليل إلى صحيح وفاسد، فإن كان الدليل صحيحا فإن المعنى الذي ذهب إليه المفسر - وهو المعنى المحتمل- في فهمه للنص، صحيح . وإن كان الدليل فاسدا فإن المعنى المحتمل فاسد، أما إذا كان اختيار المفسر لغير دليل فهو هازل لا يُعتد بقوله. يقول:

"والتأويل: حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمل لدليل فصحيح، أو لما يُظن دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل)(٥) . والمؤلف هنا ذهب لمعنى غير محتمل أصلا كما أنه بلا دليل فهو من باب اللعب الذي أشار إليه العلامة العراقي رحمه الله.

---

(١) قواعد الترجيح – ص ١٤٠، ١٤١ بتصرف قليل– سابق.

(٢)أساس التقديس .ص ٢٣٤– الإمام فخر الدين الرازي – تحقيق أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية –١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م

(٣) أساس التقديس – ص٢٣٥ – سابق.

(٤) ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ، ولد سنة اثنين وستين وسبعمائة للهجرة ، برع في الحديث والفقه وصنف فيه ، ودرس بالجامع الطولاني بعد وفاة أبيه شيخ الإسلام عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وولي القضاء الأكبر ثم عزل عنه وتوفي سنة ست وعشرين وثمانمائة للهجرة عن ثلاث وستين سنة وثمانية أشهر .ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ٩/ ٢٥١، ٢٥٢ – ابن العماد – خرج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط – نشر دار ابن كثير – دمشق ، بيروت ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦مز

(٥) الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع – ص ٣٨٤ – الإمام تا ج الدين بن عبد الوهاب السبكي – نشر المكتبة العلمية – ط١ ١٤٢٥هـ ٢٠١٤م تحقيق محمد تامر حجازي. ويقول الإمام الشيخ محمد أبو زهرة :" التأويل هو إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله وليس هو الظاهر فيه . وشروط التأويل ثلاثة :أولها أن يكون اللفظ محتملا ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول إليه فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة. ثانيها: أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون ظاهر النص مخالفا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة أو مخالفا لنص أقوى منه

ويؤكد الإمام محمد أبو زهرة – رحمه الله– أن" ترك المعنى الأصلي للَّفظ لا يجوز إلا لوجود مُوجِب للانصراف عنه كأن يخالفَ ظاهرُه قاعدةً مقرَّرة معلومة من الدين بالضرورة، أو يخالفَ نصا أقوى منه في درجة الثبوت، أو أقوى منه في الدلالة، فإذا لم يوجد مُسوّغ من هذه المسوّغات فلا يصح ترك المعنى الظاهر من النص[(١)].

وعند النظر في ما ذهب إليه المؤلف في فهمه للآية الكريمة يُلحظ أن ألفاظ الآية واضحة لا تحتمل إلا معنى واحدا هو نفيُ قتل اليهود للمسيح –عليه السلام– ونفيُ صلبه، والتأكيدُ على أن المسيح قد شُبّه لأعدائه فلم يتحققوا منه على وجه اليقين قال الله ﷻ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾[(٢)] .

من أجل هذه الضوابط في التعامل مع آيات القرآن الكريم لا تجد مفسرا للقرآن خالف ظاهره فقال إن المسيح عُلِّق على الصليب .

قال الشيخ المراغي في تفسيره : "والخلاصة أن رواياتِ المسلمين جميعَها متفقةٌ على أن عيسى –عليه السلام– نجا من أعدائه ومريدي قتله فقتلوا آخر ظنا منهم أنه هو"[(٣)] .

وإلى هذا المعنى تشير رواية ابن عباس– رضى الله عنهما– وقد أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره يقول:

«وذهب[والي بيت المقدس] هو وطائفةٌ من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى–عليه السلام– وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر – وقيل: سبعة عشر نفرا–وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك. فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب – فقال: أنت هو– وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، فلما رُفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه

سندا (...) أو يكون النص مخالفا لما هو أقوى منه دلالة كأن يكون اللفظ ظاهرا في الموضوع والذي يخالفه مفسر ففي كل هذه الصور يؤول. ثالثها : ألا يكون التأويل من غير سند بل لا بد أن يكون له سند مستمد من الموجبات له" أصول الفقه – ١٣٦.

(١) يراجع: أصول الفقه – ص ١٣٦ – ط دار الفكر العربي – دون تاريخ . ونصه " التأويل هو إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله وليس هو الظاهر فيه . وشروط التأويل ثلاثة :أولها أن يكون اللفظ محتملا ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول إليه فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة. ثانيها: أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون ظاهر النص مخالفا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة أو مخالفا لنص أقوى منه سندا (...) أو يكون النص مخالفا لما هو أقوى منه دلالة كأن يكون اللفظ ظاهرا في الموضوع والذي يخالفه مفسر ففي كل هذه الصور يؤول. ثالثها : ألا يكون التأويل من غير سند بل لا بد أن يكون له سند مستمد من الموجبات له" .

(٢) سورة النساء الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.

(٣) تفسير المراغي– ١٤/٦ – أحمد بم مصطفى المراغي – ط١ – الحلبي ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجَّحوا بذلك، وسلَّم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم»[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ والذي يعتبره المؤلف تكرارا يعنى به أن المقتول ليس هو المسيح بوصفه هذا وإنما هو المسيح بوصفه رمزا للإنسانية فليس تكرارا للمعنى وإنما هو تأكيد عليه ويحتمل أحد معنيين :

المعنى الأول : أنهم لم يكونوا متيقنين من حقيقية الشخص المقتول أهو المسيح أم غيره ؟ فكانوا شاكين فيه غير متيقنين منه. ((يقول الله جل ثناؤه: ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾، يعني: أنهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه واختلافٍ، هل هو عيسى أم هو غيره؟ [2]

المعنى الثاني : أنهم لم يقتلوا ظنهم وشكهم باليقين، بل ظلوا على شكهم في أمره أهو أم غيره ، ولم يتحققوا من الأمر كما يقال: "ما قتلت هذا الأمر علمًا، وما قتلته يقينًا"، إذا تكلَّم فيه بالظن على غير يقين. " [3]. عن ابن عباس : قوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾، قال: يعني لم يقتلوا ظنَّهم يقينًا"[4]

فهذان احتمالان تحتملهما الآية الكريمة، ومهما يكن فإن " الذي يجب اعتقاده بنص القرآن أن المسيح لم يقتل ولا صلب وأن الله رفعه إليه ونجَّاه من طالبيه وأما ماعدا ذلك فالأمر فيه محتمل" [5] .

والخلاصة: أن المؤلف لم يقدم دليلا مقبولا على دعواه أن المسيح–عليه السلام– استسلم بإرادته لأعدائه ليعذبوه ويصلبوه بل إن من نصوص الأناجيل ما يؤكد عكس هذا المعنى، وعليه لا تصح دعوى المؤلف في كون المسيح–عليه السلام– أراد أن يقوم بدور تمثيلي يحيي به انخداع آدم –عليه السلام– بوسوسة الشيطان وما ترتب على ذلك من نزوله للأرض وعنائه فيها.

وأعود للتأكيد على أن المسيح–عليه السلام– رسول مثل كل الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – جاء ليبلغ رسالة ربه وليجاهد في سبيل بلاغها ما أمكنته قوته، وأن الله –سبحانه وتعالى– نجاه من كيد عدوه ، كما نجى نوحا، وإبراهيم، ولوطا، وهود، وصالحا، وشعيبا، وموسى وخاتم المرسلين محمدا – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين– قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] .

---

(١) تفسيرالقرآن العظيم – ابن كثير ٥٤٣/١ سابق.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ٩ / ٣٧٦ – ابن جرير الطبري– تحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر – نشر مؤسسة الرسالة دون تاريخ ، تفسير القرآن العظيم– وابن كثير ١/ ٥٤٤.

(٣) جامع البيان – ٣٧٧/٩– سابق.

(٤) المرجع السابق ٣٧٧/٩–

(٥) التحرير والتنوير– ٢٢/٦– محمد الطاهر بن عاشور– نشر الدار التونسية – ١٩٨٤م.

(٦) سورة يونس الآية : ١٠٣.

المبحث الثاني

فهم المؤلف لبعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمسيح عليه السلام.

المطلب الأول : شبهة المؤلف حول المحكم والمتشابه في القرآن في قصة المسيح عليه السلام .

مدخل :

في هذا المبحث بيان لموقف المؤلف من آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمسيح عليه السلام. وهذا الموقف قائم على نظرة المؤلف لطبيعة رسالة المسيح–عليه السلام–هذه النظرة التي تتلخص في أن رسالة المسيح –عليه السلام– عبارة عن كون أفعاله وكلامه – كليهما– رموزا إلى معاني باطنة يجب إعمال العقل فيها لاكتشافها، وأن رسالة المسيح–عليه السلام–على الجملة– ليست نصًا أُمر بتبليغه ولكنّها رسالةٌ غيرُ مباشرة يبلغها بالفعل الذي يرمز لمعاني خاصة. وقد تم نقض هذه النظرة في المبحث الأول من هذا البحث.

وينطلق المؤلف من القاعدة ذاتها في فهم ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح –عليه السلام–حيث يعتبر أن ما حكاه الله تعالى في القرآن الكريم عن المسيح–عليه السلام– وأن ما جاء في القرآن الكريم حكاية عنه يعتبر رموزا وأمثلة تقريبية لمعاني باطنة، ويطلق لفظ (المتشابه) على هذه الرموز المدَّعاة في مقابل (المُحكم) من القرآن الكريم أي الواضح الدلالة الظاهر المعنى.

وبناء عليه يزعم المؤلف أن كل ما عبَّر به القرآنُ الكريم عن المسيح–عليه السلام– وما حكاه على لسانه فيما يخص القضايا الإيمانية من باب المتشابه (الذي يحمل أكثر من معنى)، وأما ما جاء عنه مما سوى ذلك فهو محكم ليس له إلا معنى واحد. والسبب– في نظر المؤلف– أن المسيح نفسه كان مثالا ورمزا للإنسانية وأن رسالته كانت تجسيدا حيا لما يتعلق بالإنسان من مولده إلى موته. يقول:

" وعلينا أن نلاحظ أن كل ما جاء على لسان السيد المسيح أو رسالته بالقرآن الكريم متعلقا بالقضايا الإيمانية أو الكونية جاء في الجانب المتشابه من القرآن أما ماعدا ذلك فجاء في الجانب المحكم كما سبق أن أوضحنا ومرجع ذلك أن السيد المسيح في رسالته كان مثلا وآية للإنسان وكان لا يتكلم إلا بالأمثال فيما يتعلق بالقضايا الإيمانية والكونية وكانت أحداث وآيات الرسالة تشبيها حيا ومجسدا لكل ما يتعلق بالإنسان من حقائق من بداية الميلاد وإلى ما يعد الممات لذا جاء معظم ما يتعلَّق بالمسيح وبرسالته على ذات النهج" (١).

وهذه الفقرة تتضمن لغطا حول معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، كما أنها تتضمن لغطا أيضا حول ما حكاه الله– عز وجل– في القرآن الكريم على لسان نبيّه عيسى عليه السلام .

وفيما يأتي توضيح ومناقشة لهاتين النقطتين.

---

(١) الإنسان بين آدم والمسيح – ص ٢٤٣. والمعنى نفسه مكررا في ص٢٢٧. وسوف يبني المؤلف على نظرته هذه فهمه لبعض آيات القرآن المتعلقة بالمسيح ولكن تجدر مناقشة قاعدته تلك قبل ذكر هذه الآيات وتوضيح الشبه المثارة حولها.

أولا: معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

إن تجاهل قواعد التفسير التي تضبط فهم الآية القرآنية يؤدِّي إلى الخلْط والتشويه، ففي القرآن الكريم محكمٌ ومتشابه، ومعرفة المحكم والمتشابه لا تخضع للهوى وإنما هي مُقيدة بقواعد علميةٍ منضبطة تعصم الذهن من الشطط في فهم معاني كتاب الله -ﷻ- أما إذا خضعت للهوى، فإن أي نص يريد القارئ تأويله لمراده يطلق عليه متشابها ثم يؤوله بما يريد . ولو فُتح هذا الباب لأُفرغت كل النُّصوص الدينية من مضامينها فلا يبقى من معانيها شيء .

إن المحكم من آيات القرآن الكريم هو "ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما احتمل أوجها" [١] متعدِّدة يحتاج المفسِّر معها إلى طريقة توضح له المعنى؛ لذا جاء في تعريف المتشابه أنه "ما لا يستقل بنفسه إلا بردِّه إلى غيره" [٢]، ومعنى هذا أن المتشابه يمكن معرفة معناه لا بطرح الرأي مجرَّدا وإنما بردِّ الآية التي اشتبه معناها إلى غيرها من الآيات المحكمة الظاهرة الدلالة .

ووجوب ردِّ المتشابه إلى المحكم يفرضه وصف الآيات المحكمات بأنهن أمُّ الكتاب ، فهن بمثابة الأصول التي يُرجع إليها في فهم المتشابهات. قال الإمام السيوطي في الإتقان:

((قال ابن الحصَّار[٣]: قسَّم الله تعالى آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أمُّ الكتاب؛ لأن إليها تُردُّ المتشابهات، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبَّدهم به من معرفته وتصديق رسله، وامتثال أمره، واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات "[٤].

ومن الخطر العظيم محاولةُ القفز إلى تتبُّع المتشابهات دون معرفة المحكمات؛ ومن يفعل ذلك قد خالف المعقول، وجانب الترتيب المنطقي في الفهم، والذي يقتضي البدء بفهم الأصول قبل الفروع. ولذا يشير ابن الحصار أيضا إلى أن" تتبُّع المتشابه مع الجهل بالمحكم هو عكس المعقول و[عكس] المعتاد في فهم الأصول قبل الفروع، ومعرفة ما اتضح معناه قبل ما خفي معناه. فهذه طريقة الذين في قلوبهم زيغ كما

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢/٢ – جلال الدين السيوطي – ط المكتبة الثقافية – بيروت لبنان – دون تاريخ ، وقال الزركشي عن المحكم إنه " الذي تأويله تنزيله ، يجعل القلوب تعرفه عند سماعه كقوله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سورة الإخلاص الآية: ١]﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى من الآية : ١١] " وأما المتشابه" فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلف المعاني" البرهان في علوم القرآن – ٦٩/٢– بد الدين محمد بن عبد الله الزركشي – ط ١دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢)الاتقان في علوم القرآن ٢/٢– مرجع سابق.

(٣)ابن الحصار هو: "علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري الخزرجي، فاسي، إشبيلي الأصل، سكن سبتة ومراكش وغيرهما، أبو الحسن، ابن الحصار(ت ٦٢٠ هـ)" له مقالة في إعجاز القرآن، وكتاب في ناسخ القرآن ومنسوخه، وهو على ثلاثة أوضاع: كبير، ومتوسط، وصغير، ومقالة في النسخ عند الأصوليين، وله قصيدة رائية قالها في المدني والمكي المصدر: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ترجمة رقم: ١٤.

(٤)الإتقان في علوم القرآن ٥/٢– سابق.

وصفهم الله في كتابه، أما مراد الحق فهو البدء بفهم المحكمات حتى يحصل اليقين ويرسخ العلم، فإذا حصل ذلك تقدم إلى فهم المتشابهات في ضوء المحكمات" (١).

وفي بيان هذا النهج القويم يقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله ﷻ :﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾(٢) :

" يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردَّ ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمَه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه "(٣)

وخلاصة ما سبق تتمثل في الآتي :

١. المحكم من القرآن الكريم ما احتمل معنى واحدا لا يُختلف عليه ، والمتشابه ما خفي معناه واحتمل أكثر من معنى.
٢. الآيات المحكمات هن الأصول التي يُرجع إليها في فهم الآيات المتشابهات .
٣. من يخالف ذلك يخطئ في منهج الفهم ويخطئ تفسير كتاب الله ﷻ.

ومن هنا فإن دعوى المؤلف أن كل ما جاء حكاية عن المسيح –عليه السلام– في القرآن الكريم من باب المتشابه تعميم خاطئ ، وسيتضح ذلك فيما يأتي:

<u>ثانيا : ما جاء في القرآن الكريم حكاية عن نبي الله عيسى عليه السلام .</u>

ليس كل ما حكاه الله –ﷻ–على لسان عبد ورسوله عيسى –عليه السلام– من باب المتشابه ، فالقضية الإيمانية الأساس في أمر عيسى –عليه السلام– هي قضية بشريته وعبوديته لله –ﷻ– وقد جاء فيها من محكم القرآن الكريم :

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

---

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن ٥/٢ ونصه :" ..ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم يتبعون ما تشابه منه ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات والمتشابهات ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تُبل بما أشكل عليك ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع " .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم :٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٢٦/١.

عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (1) وقال تعالى حكاية لقول المسيح عليه السلام :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (2).

هذا عن الإيمان الصحيح به ، أما ما ورد على لسانه في أمر رسالته فكله محكم لا يختلف عليه اثنان : ومنه قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾(3)

وقوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(4)

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (5).

فليس صحيحا إذن ما زعمه المؤلف من الحكم العام على ما جاء على لسان المسيح–عليه السلام– في القرآن الكريم من باب المتشابه بل أستطيع القول إن كل ما حُكي من كلامه في القرآن الكريم من باب المحكم، أما ما أخبر الله–عز وجل– عنه في القرآن فيدخله المتشابه وذلك في موضع واحد وصف فيه بأنه كلمة الله قال تعالى :

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(6)، وهذا الوصف يحتمل أكثر من معنى، فهل خُلق بالكلمة كسائر المخلوقات، أم أنه هو الكلمة ذاتها بصفتها الإلهية؟ . فهذا من المتشابه الذي يرجع إلى المحكم في فهمه ليعرف المراد به.

قال الحافظ ابن كثير يضرب مثالا على ردِّ المتشابه إلى المحكم بقوله " كما لو احتجَّ النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (7) وقوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ

---

(1) سورة المائدة الآيتان ١١٦، ١١٧.

(2) سورة المائدة الآية :٧٢.

(3) سورة مريم الآيات من ٣٠حتى ٣٣.

(4) سورة الصف الآية :٦.

(5) سورة الصف الآية : ١٤.

(6) سورة آل عمران الآية: ٤٥.

(7) سورة الزخرف الآية :٥٩.

قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [(١)] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرّحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبدٌ ورسول من رسل الله﴾ " [(٢)].

والخلاصة أن غالب ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح -عليه السلام- من باب المحكم وليس من باب المتشابه كما يزعم المؤلف، وما جاء مما قد يُعتبر متشابها يجب رده إلى المحكم في فهم معناه .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم – ١/ ٣٢٦.

المطلب الثاني

رد بعض الشبهات حول فهم المؤلف لبعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمسيح عليه السلام

مدخل :

يريد المؤلف أن يسلك من خلال باب المتشابه مسلكا يتيح له تأويل الآيات التي حكت أقوال المسيح- عليه السلام - والآيات التي تحدثت عن رسالته بما يتوافق مع رؤية المؤلف الكلية لرسالة المسيح وأهدافها، ومن ذلك:

أولا: قوله تعالى : ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾(١)

يزعم المؤلف أن المسيح نفسه آية يرى الإنسان من خلالها كل ما يتعلق به من حقائق خلق الإنسان والميلاد ، ومصدر العلم الإلهي ، ومطاردة الشيطان للإنسان، وكشف سر قوة الروح الإلهية في الإنسان وبيان سبب العذاب والشقاء في الأرض، والموت(٢).فهذا هو معنى جعل المسيح آية للناس في زعم المؤلف.

والحق أنه حمَّل الآية ما لا تحتمله من معان، وتجاهل السِّياق الذي وردت فيه الآية في تحديد المعنى لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق بيان قدرة الله -تعالى- في الخلق وإن تعطَّلت الأسباب المؤدية إلى هذا الخلق، والدليل أنه قبل قصة ميلاد المسيح -عليه السلام- أورد قصة نبيه زكريا -عليه السلام- حيث رزقه بيحيى - عليه السلام -مع أن زكريا-عليه السلام- كان قد بلغ من الكِبَر عتيًّا، وكانت امرأته عاقرا فوهب الله- عز وجل- له ولدا مع تعطُّل الأسباب المؤدية للإنجاب، فكان يحيى-عليه السلام- آية للناس تظهر قدرة الله -تعالى- على الخلق(٣) ثم

---

(١) سورة مريم الآية: ٢١.

(٢) يقول ما نصه : " ومن الآيات التي تستوجب التوقف عندها لما تحمله من معان قوله تعالى (ولنجعله آية للناس ورحمة منا) مريم :٢١. والآية كما نعلم جميعا هي الحدث أو الوسيلة التي من خلالها يمكن التصديق والإيمان المطلق بالحقاق الإلهية . والآية عادة يؤيد بها الرب رسله لإثبات صدق دعوتهم للبشر ؛ لكن الرب جعل من السيد المسيح ذاته " الآية" فهو بذاته آية للناس أي آية للإنسان ليرى من خلال هذه الآية كل ما يتعلق به من حقائق لأنه آية للناس وليس لغيرهم فهو آية لكل ما يتعلق بشأنهم وليس في غير ذلك .

- فهو آية للناس في خلقه ليصلوا منت خلالها لحقيقة خلقهم .
- وهو آية للناس في ميلاده ليصلوا من خلالها لحقيقة ميلادهم .
- وهو آية للناس في بيان مصدر علمه ليصلوا من خلالها إلى حقيقة من علم الإنسان وهو الرب.
- وهو آية للناس لبيان مطاردة الشيطان وملاحقته ..ليصلوا من خلالها إلى حقيقة ومعرفة عدوهم الشيطان الذي يلاحقهم ويطارهم لغوايتهم لما يحمله لهم من حقد وكراهية.
- وهو آية للناس في بيان قدرات الروح الكامنة في الإنسان.. ليصلوا من خلالها إلى بيان قدرات وقوة روح الرب الكامنة فيهم .
- وهو آية للناس في بيان أسباب العذاب في الأرض وفقد قوة وقدرة الروح الرب ليصلوا من خلالها إلى حقيقة ومعرفة أسباب عذابهم بالأرض وعدم قدرتهم على استعمال قوة الروح الكامنة فيهم." الإنسان بين آدم والمسيح - ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) الآيات من أول سورة مريم إلى الآية ١٥.

أورد الله تعالى في السياق ذاته قصة ميلاد المسيح –عليه السلام– من غير أب فولدته أمه مريم عليها السلام دون أن تتزوج فكان المسيح –عليه السلام– آية وبرهانا على طلاقة القدرة الإلهية . يقول الإمام ابن كثير : "لما ذكر تعالى قصة زكريا، –عليه السلام– وأنه أوجد منه، في حال كِبَرِه وعقم زوجته، ولدا زكيا طاهرا مباركا – عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى–عليهما السلام– منها من غير أب، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة؛ ولهذا ذكرهما في آل عمران وهاهنا وفي سورة الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى، ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه" [١].

وفي ضوء هذا السياق يفسر الإمام ابن كثير قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ بقوله : " أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه خلقه من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه " [٢] .

وهكذا يتضح أن المؤلف حوَّل معنى الآية من كونها المعجزة التي تدل الناس على كمال قدرته تعالى إلى كون المسيح ذاته هو المعجزة التي يجب أن يتعرف منها الخلق على أسرار خلقهم وميلادهم ومعرفة عدوهم الشيطان وأسباب عذابهم وشقائهم وقوة الروح الكامنة فيهم . مع أن الأصل أن يتعرف الناس على هذه الأمور من خلال الوحي المنزل على المرسلين .

ثانيا : قوله ﷻ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٣].

يزعم أن المسيح وُصف قبل ذلك بأنه مثل آدم[٤]، وآدم يعنى الإنسان بصفة عامة، وهذه الآية تصفه بأنه مثل لبني إسرائيل، ومن ثم فهو يمثل الإنسان الأنموذج الذي بُعث لبني إسرائيل يقول: " ومن ثم فإن الرَّبَّ بعثه لبني إسرائيل بوصفه مثلا للإنسان في كل شيء أي أنه مَثَلٌ للإنسان من بداية خلقه إلى ما بعد موته وعليهم أن يصِلُوا من خلال بعثته لكل الحقائق المتعلقة بالإنسان من خلقه إلى موته." [٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١١٢/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١١٣/٣.وينظر أيضا : محاسن التأويل ٩٠/٧– محمد جمال الدين القاسمي – تحقيق محم باسل – نشر دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨هـ . ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور –١٨٦/١٢– إبراهيم بن عمر البقاعي – نشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة – دون تاريخ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٨٩/٣– محمد الأمين الشنقيطي – ط دار الفكر – بيروت – ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٣) سورة الزخرف الآية :٥٩.

(٤) يشير إلى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران٥٩.

(٥) يقول ما نصه : " ولقد عرفنا من الآيات السابقة أن مثل السيد المسيح عند الرب كمثل آدم ، أي مثله عند الرب مثل الإنسان ومن ثم فإن الرب بعثه لبني إسرائيل بوصفه مثلا للإنسان في كل شيء أي إنه مثلا [هكذا] للإنسان من بداية خلقه إلى ما بعد موته ، وعليهم أن يصلوا من خلال بعثته غلى كل الحقائق وكل المعرفة التي تتعلق بهم بوصفه مثل أو مثيلا لهم وهذا المعنى واضح من ظاهر مدلول لفظ الآية" الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٣٠.

وفي هذا تحريف للآيات عن معانيها الظاهرة فلقد اقتطع المؤلف جزءا من الآية وهو ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾(١) وتجاهل الجزء الآخر الذي يحدِّد معنى المماثلة بين آدم وعيسى وهو قوله – تعالى–: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢) فالتماثل هنا تماثل في الخلق من تراب وتماثل في الخلق بالأمر الإلهي (كن) ، كما أن المؤلف تجاهل السياق الذي وردت فيه الآية حيث جاءت في سياق الرد على نصارى نجران الذين ادعوا أن المسيح هو ابن الله، فبين الله –ﷻ– لهم في هذه الآية أن المسيح مخلوق من تراب كما خُلق آدم من تراب فهو مثله في كونه مخلوقا ترابيا خلقه الله –ﷻ– بقدرته وأمره (كن) .

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية: " إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل – فأَخْبِرْ به، يا محمد الوفدَ من نصارى نجران – عندي، كشبه آدمَ الذي خلقتُه من تراب ثم قلت له: "كُن"، فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى...، فليس خلقي عيسى من أمِّه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، وأمري إذ أمرتُه أن يكون فكان لحمًا... فكذلك خلقي عيسى: أمرتُه أن يكون فكانَ."(٣).

وبناء على هذا يكون معنى وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أي" آية وعبرة يُستدل بها على قدرة الله تعالى، فإن عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه" (٤) .

ثالثا :عموم رسالة المسيح ﷺ :

كما يزعم المؤلف أن رسالة المسيح –ﷺ–ليست خاصة ببني إسرائيل وإنما عامة للناس جميعا والدليل عنده قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٥) . ووجه الدلالة عند المؤلف أن الرسول–ﷺ– لم يبعث لقومه فقط وإنما للعالم كله ومن هنا فإن كلمة (قَوْمُكَ) في الآية الكريمة تعني العالم كله فالمسيح عندما أرسل للعالم صدوا عنه. ومن هنا فإن رسالته للبشرية كلها.

يقول ما نصه : " لكن الربَّ قد أوضح في آية أخرى عموميَّة رسالة السيد المسيح وأنها ليست لبني إسرائيل وحدهم بل للبشرية كلها وذلك في قوله سبحانه "﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ والخطاب هنا للرسول سيدنا محمد– ﷺ –ولأن السيِّد المسيح لم يبعث لقوم سيدنا محمد– ﷺ – ومن ثم فإن كلمة " قَوْمُكَ ": في الآية تعني البشرية كلها "(٦).

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٥٩.

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٥٩.

(٣) جامع البيان – الطبري ٦/ ٤٦٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله القرطبي– ١٠٤/١٦– تحقيق احمد الردوني ، إبراهيم أطفيش – نشر دار الكتب المصرية – ط٢ ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٥) سورة الزخرف الآية : ٥٧.

(٦)الإنسان بين آدم والمسيح ص ٢٣٠.

والمؤلف هنا يتجاهل معنى الآية ، ويتجاهل سبب نزولها، وينحرف باللفظ القرآني عن دلالته . إن الذي ضَرب ابن مريم مثلا ليس هو الله –ﷻ– ولكنه رجل مشرك من مشركي مكة هو عبد الله بن الزبعري ضرب المسيح–عليه السلام– مثلا ليرد على قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾(١) قال ابن الزبعري: إذا كان ما يعبد من دون الله في جهنم فإن المسيح في جهنم لأنه عُبد من دون الله فضجَّ القوم وظنوا أنه قد أصاب الحجة فأنزل الله –ﷻ–ردا عليه وعلى قومه الذين يصِدون أي يضجون : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٢) . فمعنى الآية هنا ولما ضرب ابن الزبعري المسيح –عليه السلام–مثلا في كون الآلهة التي تُعبد من دون الله لا تدخل جهنم وفرح قومك بهذا المثل وضجوا، كان هذا من جهلهم فالمسيح عبد أنعم الله عليه وأرسله لبني إسرائيل فكيف يعذب الله المرسلين ويدخلهم جهنم؟ وهو أمر بدهي في استثناء المرسلين من قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ .

وفي ضوء معرفة سبب النزول فليس هنالك أية دلالة في الآية على أن المسيح –عليه السلام– مرسل إلى غير بني إسرائيل وهو ادعاء باطل وتشويه للحقائق .

هذا وفي السنة النبوية ما يدل على خصوص رسالة المسيح–عليه السلام– ببني إسرائيل فقد أخرج البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله –ﷺ– أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرةَ شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة " (٣)

وفي نصوص الأناجيل ما يدل على خصوصية رسالة المسيح –عليه السلام– ببني إسرائيل ففي إنجيل متى ينسب للمسيح –عليه السلام– " لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (٤) وقال لحوارييه : " إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحَرِيّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (٥) .

وما ورد بخلاف ذلك من قوله" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (٦) فموضع شك لأن هذه الفقرة " تتضمن عبارات التثليث وهي اسم الآب والابن والروح القدس، فكيف

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠١

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا – فتح الباري – ابن حجر العسقلاني – ١/ ٧٧٢ حديث رقم ٤٣٨ – ط١دار مصر للطباعة – ١٤٢١هـ ٢٠٠١ م.

(٤) متى : ١٥/٢٤.

(٥) متى ١٠/ ٥، ٦.

(٦) متى ٢٨/ ١٩.

يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر إلا في القرن الرابع الميلادي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وألوهية روح القدس لم تتقرر إلا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م " [١] .

رابعا : البينات التي جاء بها المسيح ﷺ.

يزعم المؤلف أن البينات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٢] – يزعم أنها هي الآيات الواضحة الحية المجسدة في حياة المسيح (ميلاده وأفعاله وموقفه من الشيطان وعذابه وصلبه وموته وقيامته) والتي وقعت منذ بداية الخلق إلى ما بعد الممات على الوجه الذي أورده الإنجيل [٣]. وهذا زعم باطل لأن المسيح– ﷺ – بُعث برسالة إلهية ككل المرسلين من قبله تتضمن توحيد الله تعالى وتنزيهه وأنز الله –ﷻ– عليه كتابه الإنجيل ليبلغه لقومه .

وزعْمُ المؤلف أن المراد بالبينات أحداث حياة المسيح على التصور الإنجيلي لها زعم باطل لا يدل عليه اللفظ ولا السياق فنبي الله عيسى –ﷺ– لم يجئ بسيرة حياته لبني إسرائيل ليتأملوها – وإنما جاءهم بالبينات وهي "آيات الإنجيل أو المعجزات وجاءهم بالحكمة وهي النبوة " [٤] وبين أنه سوف يأتيهم ببيان "بعض الذي يختلفون فيه من أحكام التوراة" [٥] .

وأما زعم المؤلف أن قوله تعالى ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ متطابق مع ما جاء في الإنجيل "لأعلن ما كان خافيا منذ إنشاء العالم "[٦] . فإنه غير صحيح وقد سبق الكلام – في المبحث الأول– بأن عبارة " لأعلن ما كان خافيا منذ إنشاء العالم" منقولة بالخطأ كما أنها من إضافات كاتب الإنجيل الذي يستشهد بنصوص التوراة وليست من كلام المسيح – ﷺ – والمعنى الصحيح أنه " قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم." [٧].

---

(١) النصرانية والإسلام – ص ٢٩٧– المستشار محمد عزت الطهطاوي – مكتبة النور – دون تاريخ.

(٢) سورة الزخرف الآية ٦٣.

(٣) يقول ما نصه : " (والبينات) التي جاء بها عيسى هي الآيات البينات أي الآيات المرئية بصورة حية ومجسدة سواء قام هو بها أو وقعت له ..وهذه الآيات البينات هي التي وقعت منذ بداية الميلاد إلى ما بعد الممات على الوجه الذي أوردها الإنجيل تفصيلا والتي عرفناها في موضعها كما تعني عبارة الآيات البينات أنها الآيات الواضحة الدلالة لمن يعقلها" ص ٢٣٢.

(٤) يراجع جامع البيان للطبري ٦٤٣/٢١.

(٥) جامع البيان ٦٤٣/٢١ بتصرف قليل.

(٦) يقول :" ما جاء على لسان السيد المسيح بالقرآن ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ إلى آخر الآية وبمقارنة هذه الآية مع ما جاء بالإنجيل " أنطق بالأمثال فأعلن ما كان خفيا منذ إنشاء العالم " ولا يختلف المعنى إلا في الأسلوب فالآية القرآنية جاءت حسب طبيعة رسالة الإسلام أي بالأسلوب المباشر التوجيه في مجملها أما المقولة التي وردت بالإنجيل فقد جاءت على طبيعة رسالة السيد المسيح أي بالأسلوب الغير مباشر التوجيه" ص ٢٣٣.

(٧) جامع البيان – الطبري ٦٣٥/٢١.

وعليه فإن المراد بـ(البينات) التي جاء بها المسيح-عليه السلام- الآيات الواضحة والحجج الظاهرة على صدق رسالته من المعجزات التي أيده الله -تعالى- بها، وهي آيات الإنجيل ، وما كان ينطق به من الحكمة.

خامسا : شبهته حول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [(١)] .

يزعم المؤلف أن هذه الآية من المتشابه لأن المسيح-عليه السلام- لم يصرح باسم (محمدﷺ) لأن المسيح ينطق بالأمثال والرموز ولا يصرح، فذَكَر صفة ومعنى محمد وعلى الإنسان أن يعمل عقله ليتعرَّف عليه. ويشبِهُه ما جاء عن المسيح في القرآن ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[(٢)] فلم يقل إنه المسيح أو يسوع أو عيسى بل عبر عنه بالرمز والصفة وليس بمدلول الحروف اللفظية للاسم[(٣)].

أما دعوى أن كلام المسيح -عليه السلام- رموز فهي دعوى قد ثبت بطلانها في المبحث الأول من هذا البحث فأسلوب المسيح-عليه السلام- في دعوته كان يعتمد على التوضيح بالتشبيهات وضرب الأمثلة التي تجلو غامض المعاني، وتفهم مدعويه، كما أن الأناجيل تنسب إليه تصريحه بأنه لم يُخف شيئا وأنه تكلَّم بكل ما أُرسل به في كل مكان استطاع الوصول إليه[(٤)] ؛ ولهذا فإن ذكره لخاتم رسل الله محمد -ﷺ- وبشارته به إنما كانت بشارة صريحة بالاسم كما أنزل الله في القرآن الكريم. واسم : (أحمد) من أسماء النبي- ﷺ - ففي الحديث الشريف الذي رواه البخاري بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه ، قال: قال رسول الله ﷺ: " لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب" [(٥)].

---

(١) سورة الصف الآية:٦.

(٢) سورة مريم الآية: ٣٠.

(٣) يقول :" وهذه الآية من الآيات المتشابهات بالقرآن الكريم ومن ثم لا يؤخذ بظاهر مدلول الألفاظ فيها فقط بل علينا أن نعي انها جاءت على لسان السيد المسيح وهو لا ينطق إلا بالأمثال والرمزية وعلى المتلقي ان يعمل الفكر والعقل لحل الرمزية والمثلية ليصل إلى المعنى المقصود . والرسول الذي يبشر به السيد المسيح والذي سيأتي من بعد اسمه محمد ﷺ وليس أحمد ولكن لأن السيد المسيح لا ينطق إلا بالأمثال خاصة في القضايا الإيمانية والكونية فلم يذكر الاسم بصياغة محكمة بل نطقها رمزا وتشبيهات فجاءت على لسانه بالمعنى والصفات وليس بمدلول الحروف الرمزية وهذه البشارة من القضايا الإيمانية التي قد يقع الاختلاف حولها إذا لم يعمل الإنسان الفكر والعقل ويفهمها على وجهها الصحيح وهذا ما حدث بالفعل فلا زال البعض منتظرا النبي أحمد وينكر على النبي محمد الرسالة والنبوة وكأن هذه الآية شيء منفصل عن باقي آيات القرآن الكريم ولو عرف الإنسان حقيقة رسالة المسيح من أنه لا ينطق إلا بالأمثال وأنه يشبه الحقائق لما وقع في هذا اللبس لأن اسم أحمد يعني صفة ومعنى محمد وعلى ذات النهج جاء على لسان السيد المسيح في القرآن الكريم عندما سمى نفسه قائلا ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ لم يقل أني المسيح أو أني يسوع أو عيسى بل جاء على لسانه قول ﴿ إني عبد الله﴾ قالها بالمثلية والرمزية والتشبيه كذلك أي قالها بالصفة والمعنى ولم ينطق مدلول الحروف اللفظية للاسم " ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) ينسب للمسيح عليه السلام في إنجيل يوحنا : " أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما وفي الخفاء لم أتكلم بشيء" إنجيل يوحنا ١٨/ ٢٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ - فتح الباري ج ٦ ص ٧٧٥ حديث رقم ٣٥٣٢.

ومعنى هذا أن هذه الآية محكمة حيث لا تحتمل إلا معنى واحدا فقط ولا يذهب الذهن في فهمها إلى أكثر من معنى .

والاسمان: (أحمد، ومحمد) متشابهان حيث اشتقا من مادة واحدة هي (حمد) "وإذا تشابه اللفظان جاز أن يقوم أحدهما مقام الآخر " [١] .

وأما دعواه أن قول المسيح-عليه السلام- ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ من باب المتشابه وأنه كنى عن نفسه بالرمز فليس صحيحا فالمسيح -عليه السلام- سماه الله تعالى عيسى من قبل خلقه وبشر أمه مريم -عليها السلام- به وباسمه قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢] .

أما وصفه نفسه بـ(عبد الله) فقد كان في موقف يقتضيه المَقام حيث أتت به أمه تحمله وكان القوم في حالة تعجب وإنكار على السيدة البتول مريم -عليها السلام- أن تأتي بولد من غير زوج فأشارت إليه فنطق بإذن الله واصفا نفسه بالعبودية وسر ذلك كما يقول صاحب الكشاف :" أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردا لقول النصارى " [٣] وقال الإمام القرطبي : " فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، ردا على من غلا من بعده في شأنه" [٤] .

(١) ينظر درج الدرر في تفسير الآي والسور – ١/٢٢٦، ٢٢٧– – أبو بكر الجرجاني المتوفى ٤٧١هـ.– تحقيق : وليد بن أحمد بن صالح الحسين ، إياد عبد اللطيف القيسي – نشر : مجلة الحكمة بريطانيا ط١ ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٢) سورة آل عمران الآيات :٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – ج٤ ص١٨ – جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري – تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي – ط ١ مكتبة العبيكان –١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن – ١١/١٠٢ القرطبي. وينظر أيضا التفسير الكبير– فخر الدين الرازي ٢١/٥٣١– ط٣ – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠هـ ، التحرير والتنوير ١٦/ ٩٨– مرجع سابق.

خاتمة البحث

أولا : النتائج.

١. كان الاتصال المباشر وشرح مبادئ الإسلام بوضوح هو الوسيلة التي اعتمد عليها المسيح – عليه السلام في بلاغ دعوته، فدعا إلى الله بلسانه وقوة بيانه وواضح تشبيهاته في كل مكان أمره الله تعالى أن يدعو فيه، ولم تكن دعوته إلغازا ورموزا كما يزعم المؤلف.

٢. أرسل الله –ﷻ– المسيح–عليه السلام– رسولا مكلفا بهداية بني إسرائيل، وليس ممثلا للإنسان أو نائبا عنه ليعيد حياة أبي البشرية آدم – عليه السلام– على الوجه الذي ينبغي أن يكون كما يزعم المؤلف.

٣. كان موضوع رسالة المسيح – عليه السلام– هو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ ، وتصديق ما بين يديه – أي المسيح عيسى عليه السلام– من شريعة موسى–عليه السلام– داعيا إلى الالتزام بأحكامها وداعيا إلى تهذيب النفس والسلوك وقد جاهد في نشر هذه المبادئ حق الجهاد ولم يكن همه أن يعيد مواقف حياة آدم – عليه السلام– إعادة مسرحية كما يصورها المؤلف محمد حسن سالم.

٤. لا صحة لما زعمه المؤلف عن قصد المسيح – عليه السلام– إحياء موقف آدم مع الشيطان بموقف المسيح مع الشيطان كما روته أناجيل متى ومرقس ولوقا وذلك للمفارقة الشديدة بين الموقف الوارد في التوراة عن آدم – عليه السلام– وبين الموقف الذي ورد في الأناجيل المذكورة عن المسيح عليه السلام.

٥. ثبت خطأ ما زعمه المؤلف حول تسليم المسيح – عليه السلام– نفسه لأعدائه بإرادته إحياء لما روته التوراة عن وقوع آدم بإرادته في شرَك عدوه الشيطان؛ فالمسيح – عليه السلام – تضرع إلى الله أن ينجيه من كيد أعدائه، وتوعَّد من يخونه ويدل عدوه عليه ، فكيف يزعم أنه أسلم نفسه بإرادته ؟.

٦. مزاعم المؤلف عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم مزاعم غير صحيحة وحصيلته المعرفية عن علوم القرآن ضحلة للغاية أوقعته في أخطاء بيّنة في فهم آيات الكتاب العزيز.

٧. فهم المؤلف لآية سورة النساء التي تنفي قتل المسيح وصلبه فهم خاطئ وما زعمه عنها انطباعات ذاتية غير متقيدة بدلالة اللغة العربية ولا بدلالة السياق ولا بقواعد التفسير وأدواته على الجملة. والأمر ذاته ينطبق على الآيات القرآنية الأخرى التي تخوَّض فيها بغير علم.

٨. دعوى المؤلف أفضلية رسالة المسيح –عليه السلام– على غيرها بحجة أنه – اي المسيح عليه السلام– أيدها بالبرهان العملي والتشخيص الحي لما روته التوراة دعوى باطلة؛ لأن البرهان والتشخيص العملي الذي يزعمه المؤلف قد صار خبرا يروى مثله مثل أخبار التوراة يمكن قبوله أو رفضه وعليه فلا فضل لرسالة المسيح على الرسالات السابقة عليها ولا على الرسالة الخاتمة وهي رسالة خاتم المرسلين محمد ﷺ.

٩. تجاهل المؤلف أن الرسالة المؤيدة بالبرهان الحي هي التي لم تنفصل عن المعجزة الدالة على صدقها بموت النبي الذي جاء بها وهي رسالة خاتم الأنبياء محمد –ﷺ– فقد كانت معجزته الكبرى التي تحدى بها هي كتابه (القرآن الكريم) وما زال إعجازه ساريا ولن يزال إلى قيام الساعة فكيف يزعم المؤلف أنها رسالة من النوع الإخباري الذي قد يصدق وقد يكذب وأن رسالة المسيح–عليه السلام– هي المؤيدة بالبرهان الحي والدليل العملي؟ هذا قلب متعمد للحقائق.

١٠. نَشْر هذا الكتاب خطر على القارئ المسلم غير المتخصص في الأديان فالمؤلف وإن أظهر مخالفته لكثير من العقيدة المسيحية ومفاهيمها صراحة إلا أن مُجمل أفكاره في الكتاب تحاول أن تستثير إعجاب القارئ بالتصور الكنسي عن شخصية المسيح – عليه السلام– وأن تضخم من دوره رسالته وشخصيته –عليه السلام– بالسحب من رصيد دور كل الرسالات وكل المرسلين دون استثناء.

ثانيا التوصيات:

١. تعميم التنبيه على عدم مصداقية الكتب والمنشورات التي لا تذكر عليها بيانات واضحة عن مؤلفيها تمكن القارئ من التحقق من شخصياتهم .

٢. تخصيص الأسماء المجهولة التي تطعن في الإسلام ببحوث نقدية تفند شبهاتهم وتحذر من مؤلفاتهم .

٣. إعداد نشرات دورية ورقية وإلكترونية ترصد كل ما يظهر على الساحة الفكرية من أمثال هذا الكتاب وأمثال هذا المؤلف مع تحليلها ونقدها.

المراجع

القرآن الكريم.

١. أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية – د/ فريد الأنصاري – الطبعة ألأولى – دار الفرقان /الدار البيضاء – ١٤١٧هـ ١٩٧٧م.

٢. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي– المكتبة الثقافية – بيروت /لبنان – دون تاريخ.

٣. أساس التقديس – فخر الدين الرازي – تحقيق : د/ أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤. أصول الفقه – الإمام محمد أبو زهرة – طبعة : دار الفكر العربي – دون تاريخ.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي– طبعة : دار الفكر – بيروت – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦. الأعلام – خير الدين الزركلي– الطبعة الخامسة عشرة – دار العلم للملايين – بيروت– ٢٠٠٢م.

٧. الإنسان بين آدم والمسيح – المستشار محمد حسن سالم – ط ٢ دار ناس للطباعة – ٢٠٠٩.

٨. الإنسان بين السماء والأرض – محمد حسن سالم – طبعة دار العاصمة بالقاهرة – دون تاريخ.

٩. البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي– تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

١٠. تاريخ الفكر المسيحي – الدكتور القس/ حنا جرجس الخضري – نشر: دار الثقافة – دون تاريخ.

١١. التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – نشر: الدر التونسية –١٩٨٤م.

١٢. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس – مجموعة من المؤلفين – شركة ماستر ميديا / القاهرة / مصر – دون تاريخ.

١٣. تفسير القرآن العظيم – الحافظ ابن كثير– نشر: دار الحديث – ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٤. التفسير الكبير – فخر الدين الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ.

١٥. تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي– الطبعة الأولى – الحلبي– ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

١٦. التوراة السامرية – ترجمة الكاهن / أبو الحسن إسحاق الصوري – نقلها وعرف بها د/ أحمد حجازي السقا – مكتبة زهران – دون تاريخ.

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري – تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر – نشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

١٨. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي– تحقيق: أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش – نشر: دار الكتب المصرية – ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١٩. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث – عباس محمود العقاد – طبعة : نهضة مصر – ٢٠٠٥م.
٢٠. درج الدرر في تفسير الآي والسور– أبو بكر الجرجاني – تحقيق : وليد بن احمد بن صالح الحسين ، إياد عبد اللطيف القيسي – نشر: مجلة الحكمة – الطبعة الأولى : ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٢١. دلالة الحائرين – موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي– ترجمة: د/ حسين أتاي – نشر: مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة– دون تاريخ .
٢٢. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل – أبو حامد الغزالي – طبعة المكتبة العصرية – بيروت/ لبنان – دون تاريخ.
٢٣. الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع – تاج الدين عبد الوهاب السبكي– نشر المكتبة العلمية – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٤. الفارق بين المخلوق والخالق – عبد الرحمن الباجة جي زادة – تصحيح ومراجعة : عبد المنعم فرج درويش – مطابع البيان التجارية / دبي – ١٤٠٧هـ/١٩٨١م.
٢٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – طبعة : دار مصر للطباعة – الأولى – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل – ابن حزم الظاهري– طبعة: المكتبة التوفيقية – تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي – دون تاريخ.
٢٧. قاموس الكتاب المقدس – مجموعة من المؤلفين – صدر عن : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى – الطبعة الخامسة عشرة – بيروت/ لبنان – ٢٠١١م.
٢٨. قصة الحضارة – ول ديورانت —– ترجمة محمد بدران – الهيئة المصرية العامة للكتاب / مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.
٢٩. قواعد الترجيح عند المفسرين – د/ حسين بن علي الحربي – الطبعة الأولى – دار القاسم – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٣٠. الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) – طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط – دون تاريخ.
٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشري– تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ /عادل عبد الموجود ، الشيخ/ علي محمد معوض، الدكتور/ فتحي عبد الرحمن حجازي– مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٣٢. لسان العرب – جمال الدين بن منظور – دار صادر – بيروت – دون تاريخ.
٣٣. محاسن التأويل – جمال الدين القاسمي – تحقيق : محمد باسل عيون السود – الطبعة الأولى – نشر : دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – ١٤١٨هـ.

٣٤. المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم – الوري بولس الفغالي – طبعة: المكتبة البولسية – لبنان – ٢٠٠٣م.
٣٥. مدخل إلى العهد الجديد – صادر عن دار الثقافة المسيحية بالقاهرة – مطبعة : دار الجيل – دون تاريخ.
٣٦. المسيحية نشأتها وتطورها – شارل جنيبر – ترجمة / الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود – طبعة : دار المعارف – ٢٠٠٨م.
٣٧. معجم أسماء الأعلام في الكتاب المقدس – سعيد مرقص – الطبعة الأولى – نشر مؤلفه – ٢٠٠٦م.
٣٨. المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٩. المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الطبعة الرابعة / مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٤٠. معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا القزويني– طبعة دار الفكر – تحقيق /محمد عبد السلام هارون – دون تاريخ.
٤١. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث – د/ عبد الفتاح محمد العيسوي ، د/ عبد الرحمن محمد العيسوي– طبعة دار الراتب العلمية – ١٩٩٦/١٩٩٧م.
٤٢. المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل – أبو الفضل السعودي المالكي – تحقيق رمضان الصفناوي البدري – الطبعة الأولى – دار الحديث بالقاهرة – ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٤٣. النصرانية والإسلام – المستشار / محمد عزت الطهطاوي– مكتبة النور – دون تاريخ.
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– إبراهيم بن عمر البقاعي – نشر: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – دون تاريخ.